مغامرات المحقق
شريف هدهد
البحث عن
عزرائيل
رواية
يحيى عبد القادر
عصير الكتب
للنشر و التوزيع

البحث عن عزرائيل

عصير الكتب

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

الطبعة الأولى: يونيو / 2021م
رقم الإيداع: 2021/14870م
الترقيم الدولي: 978-977-6902-16-9

المؤلف: يحيى عبد القادر
تدقيق لغوي: نهال جمال
تنسيق داخلي: معتز حسنين علي

الآراء الواردة في هذا الكتاب تُعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة © لدار «عصير الكتب» للنشر والتوزيع
يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

مغامرات المحقق

شريف هدهد

البحث عن

رواية

يحيى عبد القادر

عصير الكتب

إهداء

الحمد الله الذي أفاض بنعمه الكثيرة، أهدي هذه الرواية إلى أبي وأمي، فما أتمناه هو إهداؤكما جزءًا من السعادة كما أعطيتماني كامل السعادة بحياتي. وإلى إخوتي الأحباء، فلا طعم للدنيا دونكما.

إلى زوجتي الحبيبة، مصدر قوتي وإلهامي، أنتِ بطلة حياتي وسر نجاحي.

إلى أصدقائي الذين أنعم الله عليَّ بهم، كل الشكر على مساندتكم لي ومساعدتكم وحبكم، وأتمنى أن أرد جزءًا ولو قليلًا من أفضالكم.

أخص بالشكر صديقي الدكتور محمد علي البسيوني والدكتور خالد عبد العزيز لمساهمتهما ومساعدتهما بالعلم الوافر في رواياتي السابقة والتالية، وأخيرًا وليس آخرًا: كل الشكر والتقدير إلى إدارة عصير الكتب للنشر والتوزيع، وبالأخص الأستاذ محمد شوقي والأستاذة سنية زايد.

إلى من يهمه الأمر

هذه تعد المغامرة الثانية للمحقق (شريف هدهد)، الشاب الذي يملك التوحد ويملك معه عبقرية فذة لا مثيل لها منذ صغره. توفي والده أمامه في حادث سيارة عجيب وغامض وهو في السابعة من عمره، وفي تلك الليلة حاول قاتل أبيه أن يقوم بخطفه، لكنه أخفق. لم يرَ (شريف) ملامح القاتل، لكنه رأى الوشم الموجود على يد القاتل المكون من ثلاث نجوم.

تولى صديق والده (محسن النجار) تربية (شريف) حتى أصبح في الخامسة والعشرين من عمره، حتى قرر هذا الشاب العبقري الاستقلال بنفسه والعيش بمفرده، غير مهتم بآراء الناس أو نظراتهم له، سواء كانت شفقة أو احتقارًا.

كانت القضية الأولى لـ (شريف) كافية لاستشارته في عدة قضايا أخرى بعد ذلك، على الرغم من عدم ثقة العميد (راجح) بهذا الفتى العبقري، لكن ما يراه المحقق (شريف) يختلف عما تراه الأعين، فإنه يرى نقاء الحقيقة دون أن تشوبها شائبة، لا يحتاج لسانه إلى قولها، لكنها ظاهرة داخل عقله.

قبل دخول المغامرة الجديدة عليك أن تعلم شيئًا، بعض الحقائق التي تراها يتم خلقها داخل الغرف المغلقة لحجب الحقيقة عنك، أما بالنسبة لأصحاب الغرف المغلقة فلا يمكنك ردعهم أو محاربتهم، وفي بعض الأحيان لن تستطيع الإيمان بوجودهم، فلا تصدق كل ما تراه أو تسمعه، وتشبث بإيمانك بالله الواحد الأحد، فطريق الله يحجب بينك وبين الباطل.

1

تتوقف السيارات في البقعة المظلمة من موقف السيارات الموجود أسفل فندق المطار، حيث يخرج عشرة من الحراس من السيارات السوداء ليقفوا متيقظين متكاتفين كالحائط الصلب حول السيارة البيضاء التي يجلس بداخلها رجل الأعمال (عبد الرحمن مكاوي) الذي لم يكتفِ بالحرس الحامل لأسلحة تكفي لاحتلال الفندق بأكمله، بل حمل أيضًا مسدسه مستعدًّا لإطلاق النار على أي شخص يحاول الاقتراب منه، لكن الخوف كان سيده في تلك اللحظات والعرق كاد أن يغرِقه، وأصبح منتظرًا لقدره بعد أن كان ينتظره الآلاف من الناس لمجرد التحية، وما هي إلا دقائق حتى أصابه الخوف ذعرًا من خطوات الأقدام القادمة نحوه، فأشهر المسدس في وجه من يحاول فتح باب السيارة، لكن سرعان ما عادت قطرات الطمأنينة إلى صدره عندما دخل عليه مساعده (هشام الإبياري) الذي قد انتهى من إجراءات حجز الطابق الأخير كاملة من الفندق وتأمين الطابق بالكامل وبالأخص الجناح الخاص بالسيد (عبد الرحمن)، الذي خرج من السيارة بأقدام مرتعشة مختبئًا خلف الحائط البشري من حراسه، حيث انطلق الفريق في خطوات حذرة نحو المصعد المؤدي إلى الطابق الأرضي، وبمجرد الوصول الى الاستقبال تفرقت أعين الحرس في كل مكان لتأمين سيدهم الذي كاد أن يبكي ذعرًا فور وقوع لافتة بالاستقبال موضوعة على عمود نحاسي أحدث صوتًا مدويًّا أدى إلى إشهار الحرس لأسلحتهم وفرار (عبد الرحمن) إلى المصعد المؤدي إلى الطابق العلوي.

ظل السيد (عبد الرحمن) داخل المصعد منتظرًا خروج الحرس أولًا والتأكد من خلو الطابق من أي إنسان أو حتى ذبابة، وبمجرد الانتهاء من تأمين الطابق للمرة الثانية اتجه (عبد الرحمن) مسرعًا إلى الجناح الخاص به ومن خلفه مساعده (هشام) الذي أمر الحرس بالتيقظ والتجول في جميع ممرات الطابق وتأمين المكان على مدار اليوم حتى موعد الطائرة في صباح الغد، وبمجرد انتهاء (هشام) من كلماته ظل أربعة حراس واقفين أمام باب الجناح من الخارج، بينما انتشر البقية لتنفيذ الأوامر.

أغلق (هشام) الباب وتوجه نحو سيده المرتعد خوفًا من الموت القادم إليه، ليحاول (هشام) بعث الطمأنينة والأمان في قلب سيده الذي ظهر عليه العجز فجأة على الرغم من أنه لم يصل إلى سن الخمسين، مؤكِّدًا أنه لا شيء يدعو إلى القلق أو الخوف، ولا يليق بصاحب النفوذ والقوة الخوف من مجرد سطور لا أساس لها من الصحة، لكن كلمات (هشام) لم تكن لها أي تأثير أو قيمة لدى سيده الذي ظل يشعر باقتراب الموت، وما من سبيل سوى مغادرة البلاد حتى يكتشف مَن مِن أعدائه قادم لقتله، الأمر الذي زاد

من تعجب (هشام) ليقترح على سيده تأجير طائرة خاصة للخروج من البلاد في الحال، لكن الرد زاده عجبًا، ليخرج (عبد الرحمن) من جيبه الرسالة التي جعلته يهرب من البلد بأكمله، ثم ينظر إلى مساعده بعينين تملؤهما الدموع، ويجيب بصوت مذعور بأنه يفضل الاختباء وسط الزحام حتى لا يصل أعداؤه إليه.

عبد الرحمن:

- أما إن أدركني الموت، فإني أخاف الموت وحيدًا.

تخلل الخوف صدر (هشام) بعد أن سمع تلك الكلمات البائسة، فما كان أمامه سوى بعث بعض من الطمأنينة مجددًا إلى سيده، ناصحًا بأخذ قسطًا من الراحة بعد الاستحمام بماء دافئ، فاستمع (عبد الرحمن) هذه المرة إلى النصيحة، وتوجه إلى دورة المياه عسى أن يزيح الماء سواد القلب، وبدأ بخلع ملابسه في اللحظة التي خرج (هشام) من الجناح للتأكد من حجز تذاكر السفر وإنهاء بعض المكالمات الخاصة بالأعمال التي تعطلت بسبب هذا السفر المفاجئ، لكن وفاءه الشديد لسيده جعله ينهي كل هذه الأعمال بالهاتف خلال مروره على الحراس بالطابق للتأكد من عملية التأمين.

فُتح باب دورة المياه وخرج (عبد الرحمن) عاريًا، وقد أمسك صدره وعلامات الألم تبدو على وجهه، وأصبح عقله غير متزن أو واعٍ، فحاول التقاط أنفاسه بصعوبة بالغة، لكن بلا فائدة، فتملكه الفزع بلا رحمة وسرق صوته الذي يحاول استعادته لمناداة أتباعه، لكن بلا فائدة، حتى ساقاه غير قادرتين على حمله للتوجه إلى الباب، لكنه أسرع إلى شرفة، فما أراد سوى بعض الهواء الذي لا يُقدَّر بمال، أراد أن يملأ صدره بالهواء العليل، لكن غلبه الضعف وأعمى الخوف عقله وازداد الاختناق، وخارت قواه ومال جسده من الشرفة حتى ارتطم جسده بجانب حمام السباحة بأرض الفندق، فسالت الدماء وتعالت الصرخات وفارق الحياة!

2

على الرغم من حالة التأهب التام للشرطة والاستعداد لأي خطر يهدد أمن المواطن أو الوطن، فإن القلق والتوتر كانا منتشرَين بين الضباط والأمناء أو المذنبين في حبسهم، حتى وصل الخوف بين المواطنين الذين حضروا إلى القسم لمجرد الشكوى أو طلب العون من الشرطة، حتى بدأ البعض في الرجوع عن شكواه والخروج من القسم خوفًا من الصوت الجبار الخارج من مكتب رئيس المباحث بالدور العلوي، إذ لا يتوقف العميد (راجح) عن توبيخ ضباط المباحث الواقفين صفًّا أمامه، فهو على يقين أنهم لا يصلحون للعمل في إدارة المباحث أو حتى الشرطة بوجه عام، فعلى الرغم من مضي ثلاثة أيام على وفاة رجل الأعمال الكبير (عبد الرحمن مكاوي) والتحقيق المستمر في سرية، فإن الصحافة ووسائل الإعلام قد حولت الوفاة إلى جريمة قتل شائكة، وذلك بسبب تسريب لتلك الرسالة التي أدت إلى خلق العديد من نظريات المؤامرة، والتي سببت إزعاجًا لوزارة الداخلية، إذ إن الصحافة اتهمت السلطات بإخفاء الحقيقة، بل وإخفاء القاتل لكونه من أحد رجال الدولة المنافسين لـ (عبد الرحمن)، الأمر الذي تسبب في أزمة دولية كون (عبد الرحمن) حاملًا للجنسية الروسية.

راجح:

- يكاد تاريخي العريق في إدارة المباحث أن يُطمَس بسبب حفنة من الحمقى الصحفيين، التي جعلت الحكومة الروسية تطالب بتسليم جثة (عبد الرحمن) لدفنه في وطنه مع تقرير تفصيلي موضح لملابسات تلك القضية الشائكة، لا أهتم كونه مقتولًا أم منتحرًا، أريد فقط إنهاء تلك القضية في أسرع وقت.

لم يكن التعنيف مجرد كلمات عابرة، بل أصدر سيادة العميد قراره بعدم السماح لأي ضابط بالذهاب إلى المنزل أو حتى مغادرة العمل حتى انتهاء تلك القضية الملعونة.

في تلك اللحظة يُصاب النقيب (مصطفى) بشيء من الجرأة أو الجنون، ليتقدم خطوة إلى الأمام، فيؤكد إلى سيادة العميد أنها قضية بسيطة، وما هي سوى انتحار لشخص أصابه الخوف والذعر أو ربما الجنون، وما يؤكد صدق القول تقرير الطب الشرعي الذي يؤكد أنها وفاة طبيعية، ولا تعدُّ شهادة مساعده (هشام الإبياري) دليلًا على وجود قاتل، بل إنها دليل على الجنون الذي أصاب (عبد الرحمن) من مجرد رسالة لا قيمة لها.

لم تكن كلمات (مصطفى) ذات قيمة لـ (راجح)، إنما هي مجرد حقيقة لا يوجد سواها، لكن القيادات تجد هذه الحقيقة مجرد أكذوبة صنعها ضباط المباحث لإخفاء

فشلهم وعدم قدرتهم على الوصول إلى الجاني، حتى (راجح) نفسه يجد أنها وسيلة لتضليل العدالة، فالجميع يعلم قيمة الحياة بالنسبة لـ (عبد الرحمن مكاوي)، كما يعلم أصحاب السلطة مدى صحة (عبد الرحمن) العقلية والنفسية، لذلك وجب على إدارة المباحث السعي وراء حقيقة أخرى في أسرع وقت قبل حدوث أزمة دبلوماسية بين البلدين.

أصدر سيادة العميد الأمر بالانصراف لاستكمال التحقيق في تلك القضية ونفذ الجميع الأمر، لكن الرائد (سليم) ظل واقفًا مكانه ناظرًا إلى رئيسه ومعلمه نظرة واضحة تتحدث عما في الصدور، النظرة التي زادت من غضب (راجح) وأخذ يزأر في وجه (سليم)، رافضًا ما يجول في خاطر سيادة الرائد الذي ظل واقفًا في سكون تام دون التفوه بكلمة واحدة أو حتى التراجع عن نظرته إلى (راجح)، بل ظل واقفًا يمتص غضب معلمه، الذي استمر في رفض اقتراح (سليم).

راجح:

- لا تنظر إليَّ هكذا، لن أوافق على ما تريده، لن أخضع هذه المرة إلى طلبك. أعلم أنها قضية غامضة لكنني لا أريد أن أراه، لن أتحمل رؤيته أو سماع كلماته المبهمة. كاد هذا الفتى أن يصيبني بأزمة قلبية، لا، لا، حسنًا، أين هو الآن؟

سليم:

- في سيارتي ينتظر أمرك بالدخول.

وبمجرد الموافقة من دون اقتناع، انطلق (سليم) خارج مكتب سيادة العميد إلى الطابق الأرضي حيث توقف سيادة الرائد للحظات بسبب تلك العجوز التي تصرخ في وجه أمين الشرطة بسبب إهمال طلبها، لكن لم يمكث (سليم) طويلًا لمعرفة مشكلة السيدة العجوز (علية) التي تسكن على مقربة من القسم، وقد نادى الأمينَ (خالد) الواقف بعيدًا عن مكتبه، فأمره بحل مشكلتها، ليستكمل (سليم) طريقه وصولًا إلى السيارة فيفتح الباب الأمامي بهدوء شديد ويمد يده بحرص حتى يلمس كتف (شريف) المنصت إلى الموسيقى بسماعات الأذن الكبيرة، حيث توقفت الموسيقى فور خروجه من السيارة والوقوف أمام (سليم) الذي كاد أن يتوسل إلى (شريف)، فيطلب منه عدم التحدث أمام العميد (راجح) إلا عند الضرورة القصوى.

سليم:

- هل هذا اتفاق بيننا؟

شريف:

- شريف يتكلم بعد موافقة سليم.

سليم:

- أرجو ذلك.

على الرغم من الاتفاق مع (شريف)، فإن (سليم) لم يكن يشعر بالأمان تجاه هذا الفتى، فقد شهد معه الكثير، ولم يجد من لسان (شريف) سوى كلمات جارحة أو ألغاز، لكن إيمانه بذكاء هذا الشاب هو ما جعله يجلب (شريف هدهد). تحرك الضابط ومن خلفه (شريف) الذي توقف بجانب سيادة الرائد، حيث أوقفته السيدة (علية) مرة أخرى للشكوى من جارها الذي لا يتوقف عن أكل الأسماك حتى أصبحت الرائحة العفنة في كل مكان، فأدرك (سليم) خطأه عندما توقف، حيث جاءت بجانبها السيدة (نعمة) التي تتهم زوج ابنتها بسرقة التلفاز خاصتها، وبدأ المواطنون في التجمع حول الرائد (سليم) للاستماع إلى شكواهم، ليصرخ بالأمين (خالد) الذي ظل واقفًا لوقت طويل مع خطيبته (سلوى) خارج القسم، والذي أسرع بالوصول إلى رئيسه الغاضب من التكاسل في خدمة المواطنين، ليأمره (سليم) بكتابة شكواهم في محاضر رسمية، الأمر الذي أصاب (شريف) ببعض التوتر والقلق ومن ثم الخوف مما جعله يتراجع بعض الخطوات إلى الخلف، وقد عزم النية على الخروج من القسم حتى وجد من يمسك يده بلمسة حنان، فإذا بـ (سمر) الناظرة إليه بابتسامتها الباعثة على السعادة، فأخذت بيده وتحركا معًا نحو السلم للصعود إلى الطابق العلوي، في تلك اللحظة بدأ (سليم) في الهروب من المواطنين واعدًا إياهم بالاهتمام بمشكلاتهم وحلها في أسرع وقت، ليلحق الأمين (خالد) بسيادة الرائد ليذكره بطلبه، إذ كان يأمل (خالد) أن يصبح مساعدًا لـ (سليم) في المباحث والخروج في المأموريات، وعلى الرغم من العجلة، فإن (سليم) قد توقف مجددًا ليبشر (خالد) بمرافقته في جميع المأموريات بدءًا من الغد، لكن لم ينتظر (سليم) جزيل الشكر من (خالد)، حيث انطلق مسرعًا خلف (سمر) و(شريف) حتى أدركهما بالطابق العلوي قبل الوصول إلى مكتب العميد (راجح) ببعض الخطوات ليذكِّر (سليم) صديقه بما هو متفق عليه، كما طلب من (سمر) الاستماع أكثر من الكلام، وذلك لتجنب بركان الغضب الخامد.

سمح العميد (راجح) بدخول طارق الباب ومن معه، فجلس الجميع أمامه دون كلمة واحدة بناءً على تعليمات (سليم)، منتظرين إشارة البدء بالحديث من (راجح) الناظر بعينين يملؤهما الغضب من (شريف) الذي يتجول بعينيه في أرجاء الغرفة كعادته، غير مهتم بمدى الغيظ الذي يحمله (راجح) له، وازداد الأمر تعقيدًا عندما وجَّه (راجح) الحديث إلى (شريف) وسأله عما يعلمه عن قضية (عبد الرحمن مكاوي)، لكن (شريف) لم يعر انتباهًا إلى السؤال أو ينبس ببنت شفة، فأخذ يعض (راجح) على

شفتيه غيظًا من هذا التجاهل، ليتدخل (سليم) سريعًا لإنقاذ الموقف، لكن (شريف) لم يخطئ هذه المرة، إنما التزم باتفاقه مع صديقه (سليم) بأنه لن يتحدث إلا إذا سمح (سليم) له، لذلك أعاد (سليم) السؤال على (شريف) الذي ظل صامتًا للحظات ثم أخذ نفسًا عميقًا.

شريف:

– عبد الرحمن مكاوي، مواليد 1972 محافظة الغربية، سافر في بداية الألفية الثالثة إلى روسيا، حاصل على الجنسية الروسية بعد أن تزوج السيدة ناثالي إيفان، عاد بعد أربع سنوات من سفره إلى مصر وأنشأ أكبر شركة مقاولات لأعمال الطرق والكباري، عام 2006 أنشأ شركة تسويق عقاري، عام 2007 أنشأ سبعة معارض للأثاث المنزلي والأثاث المكتبي، النتيجة النهائية وسيط لعمليات غسيل الأموال، لا دليل على هذا الادعاء حتى الآن، الحالة ميت، سبب الوفاة انتحار.

راجح:

– ما قلته صحيح، لكن ليس تمامًا، هناك بعض الأدلة تشير بأن شبحًا قد قتله، أو ربما عزرائيل نفسه.

3

"كانت البداية منذ أسبوع تقريبًا أو أقل، عندما تلقيت مكالمة قبل الفجر بلحظات من السيد (عبد الرحمن) وقد أمرني بالحضور على الفور، فانطلقت دون نقاش، وبمجرد الوصول وجدت السيد (عبد الرحمن) بوجه مذعور، محدقًا إلى السماء من شرفة منزله في صمت، ومع شروق الشمس ونطق اللسان للبوح بما حدث له في نهاية سهرته الأسبوعية، تلك الليلة التي خرج فيها وحيدًا دون الحرس، وفور خروجه من كازينو القيصر، وبالتحديد في موقف السيارات الخاص بالكازينو، حيث وجد بالمقعد الأمامي باقة من الزهور الحمراء المغلفة بإحكام، وما هي إلا لحظات حتى بدأ بفك الغلاف لأخذ المظروف الموجود في الباقة لمعرفة هوية المرسِل، لكن المفاجأة أصابته بالندم على فتح المظروف، إذ وجد رسالة مكتوبة بقصاصات الصحف والمجلات الملتصقة على ورقة بيضاء، مكوِّنة بالنهاية رسالة غليظة (أنا عزرائيل، في نهاية اليوم الثالث سآتي لأقبض روحك، سأتغاضى عن الأمر الإلهي في مقابل خمسة ملايين من الجنيهات)، حاولت أكثر من مرة إخماد الضحكات فلم أستطع التوقف عن السخرية من تلك الهلاوس، لكن من أوقف الضحكات ذلك الغضب المنبثق من عيني السيد (عبد الرحمن) الذي لم يتخذ الأمر هزلًا، حيث إنه لم يعشق سوى الاثنين؛ المال والحياة.

على الرغم من المحاولات المستمرة من بعث الأمان والطمأنينة إلى صدره المذعور، فإنها كانت محاولات لا قيمة لها، حتى إنه فضَّل المكوث داخل غرفته يومًا كاملًا دون طعام أو شراب أو حتى رفقة، لكن العجيب هو صباح اليوم التالي، عندما خرج من خلوته بعد التفكير العميق، حيث وجد أنه من السذاجة الخوف من مزحة خرقاء لا أساس لها، ولا حاجة لإبلاغ الشرطة عن أمر عابر قد يثير الكثير من التساؤلات عن طبيعة عمل (عبد الرحمن) ويسلط بعض الأضواء على بعض الأسرار التي يجب ألا ترى النور. لكن لم يدُم الأمر طويلًا، إذ استقبل مكالمة هاتفية تأمره بإحضار المال في حقيبة محكمة الغلق والذهاب إلى ميدان التحرير بنفسه دون حراسة أو إبلاغ الشرطة، وتم تحديد الموعد في ظهيرة اليوم التالي وإلا الموت في نهاية اليوم الثالث.

ظل الخوف يطارد (عبد الرحمن) في تلك الليلة حتى مكالمة صباح اليوم الثالث، إذ أجاب (عبد الرحمن) على المتصل بغضب عارم، وقد أقسم على البحث عن هذا الأبله وقتله لفعلته الشنعاء بتهديده لكيان عملاق مثل السيد (عبد الرحمن)، لكن المتصل فضَّل الصمت لحين انتهاء الغضب والسباب، حتى أنهى المكالمة بجملة واحدة: "لا مهرب من الموت غدًا".

بانتهاء المكالمة انتهت شجاعة (عبد الرحمن)، حيث قد أصدر قراره بالسفر خارج البلاد، بل ومغادرة المنزل في الحال، لذلك قام باستئجار الطابق العلوي بالكامل لفندق المطار، والمكوث فيه لحين موعد الطائرة المتجهة إلى موسكو. وقد كنتُ ملازمًا له طوال الوقت حتى خرجتُ لإنهاء بعض المكالمات الهاتفية الخاصة بأعمال السيد (عبد الرحمن) في مصر وإيجاد حلول سريعة للمشكلات التي حدثت بسبب هذا السفر المفاجئ، لكن ما هي إلا دقائق حتى صعد الأمن ليخبرنا بسقوط السيد (عبد الرحمن) من أعلى شرفة غرفته، وهذا كل ما حدث».

عم الصمت مكتب (سليم) لبعض الوقت فور انتهاء (هشام) من روايته بشأن وفاة سيده، إذ ظل (سليم) ينظر إلى ملف القضية بتركيز شديد عسى أن يجد شيئًا جديدًا لم يره من قبل، بينما جلست (سمر) في صمت بابتسامة يتخللها بعض البلاهة، مترقبة ما سيقوله (شريف) الذي يجلس في هدوء بعيدًا عن الجميع، ممسكًا لرسالة التهديد الغامضة تلك الخالية من بصمات المرسِل، حيث أخذت أصابع (شريف) بتحسس الملصقات المكوِّنة للرسالة، لكنه ظل صامتًا لوقت طويل، حتى أصاب الجالسين حالة من الملل، لذلك بدأ (سليم) بطرح نفس الأسئلة مجددًا على (هشام) ليبرهن إلى صديقه العبقري مدى يقظة الشرطة في البحث عن التفاصيل الخاصة بالقضية كافة، حيث بدأ الضابط في السؤال عن أعداء السيد (عبد الرحمن) سواء من منافسين في العمل أو شركاء في أعمال غير شرعية أو حتى عداوة قديمة على المستوى الشخصي، وكانت إجابة (هشام) ينقصها بعض التفاصيل، حيث صرح أن السيد (عبد الرحمن) كان يجري بعض الأعمال بنفسه بعيدًا عن أعين الجميع، حتى شركائه في شركات المقاولات، لكن سبب نجاحه هو عذوبة لسانه وحكمته التي تجعل الجميع على وفاق معه، لذلك لم يكن له أعداء سواء في الخفاء أو العلن، أما بالنسبة لحياته الشخصية، فقد كانت علاقته بالسيدة (ناثالي) من أجل المصلحة، فقد حصل على الجنسية بعد زواجه بها، وفي المقابل حصلت على شراكة معه في الكثير من الأعمال، فقد كانت مصالحَ مشتركة لا يشوبها أي خلاف.

وعندما سأل (سليم) عن السهرة الأسبوعية، وضح (هشام) أنه لا يعلم الكثير عنها سوى أن (عبد الرحمن) كان يفضِّل الخروج ليلة الخميس وحده دون حراسة أو رفقة والذهاب إلى كازينو القيصر بفندق النيل، والذي يسمح بدخول من يحمل جنسية غير الجنسية المصرية، لذلك كان يجمع الصفوة من المجتمع، فكان على (سليم) التأكد من هذا الشأن، لذلك أوقف التحقيق لدقائق للانتهاء من محادثته مع (مصطفى) بالهاتف، للإسراع في التحقيق مع العاملين في كازينو القيصر، وفي نفس الوقت أكد (مصطفى) أن كاميرات المراقبة الخاصة بموقف السيارات لم تحدد شكل المتسلل الذي وضع باقة الزهور بسيارة (عبد الرحمن).

تنتهي المكالمة لاستكمال التحقيق والاستجواب عن صوت المتصل، فقد أكد (هشام) أن المتصل استخدم أحد البرامج لتغيير صوته وتحويله إلى أحد الأصوات الغليظة، فقد كان من المستحيل التحقق من هويته.

أما باقة الورد التي حملت الرسالة أصبحت في طي النسيان بعد أن ألقاها (عبد الرحمن) فور قراءته لرسالة الموت، لذلك لا يوجد أثر للقاتل إن كان قاتلًا بالفعل، فلا يوجد ما يثير الشك أو الريبة في وفاة (عبد الرحمن)، فلا يوجد أي أثر لجروح أو عنف على جسد الضحية، أو حتى أي أثر لوجود أي شخص داخل الغرفة لحظة سقوط الضحية من أعلى الشرفة، أما بالنسبة لتقرير الطبيب الشرعي فقد أكد أن الضحية لم تتعرض لأي نوع من السموم أو الأدوية المهدئة أو المخدرة التي قد تسبب الهلاوس، بل كان سليم الجسد لدرجة لا يصدقها عقل، فلا يوجد سبب علمي لتوقف نبض القلب سوى إرادة الخالق.

شريف:

- تغير في شدة الصوت.

سليم:

- ها قد بدأت الألغاز. ماذا تعني يا (شريف)؟

شريف:

- نوع الصوت، التخاطب البشري العادي، مستوى شدة الصوت 60 ديسبيل، نوع الصوت، الهمس المتوسط الارتفاع، مستوى شدة الصوت 20 ديسبيل.

سليم:

- أرجو أن تصل إلى النتيجة سريعًا.

شريف:

- مستوى شدة الصوت لما قاله (هشام) يساوي 60 ديسبيل، مستوى شدة الصوت عندما نطق اسم (ناثالي) أقل من 60 ديسبيل.

سمر:

- أخيرًا أصبح التحقيق أكثر تشويقًا.

سليم:

- ليس الآن يا دكتورة (سمر)، نريد أن...

شريف:

- لم تكن مكالمة بخصوص أعمال.

هشام:

- عذرًا!

شريف:

- لم تكن مكالمة هاتفية خاصة بأعمال (عبد الرحمن)، سبب خروجك من الغرفة أنها كانت مكالمة يجب على (عبد الرحمن) عدم سماعها، الاحتمال الأول، إبلاغ المنافسين عن خوفه ومغادرته المكان، الاحتمال الثاني، مكالمة (ناثالي)، أنت على علاقة بزوجة (عبد الرحمن).

لم يعر (شريف) انتباهًا إلى الابتسامة والسعادة التي ملأت وجه (سمر) في أثناء مشاهدتها حالة الغضب والتوتر التي أصابت (هشام) الذي زاد سخطه من تلك النظرية التي لا صحة لها مؤكِّدًا أنها مجرد أفكار غير منطقية داخل عقل (شريف) الذي ظل محدقًا في تلك الرسالة، جاعلًا (سليم) يتولى الأمور من تلك النقطة، حيث بدأ سيادة الرائد توجيه بعض الأسئلة إلى المتهم الجديد، وذلك من أجل الحصول على الاعتراف بتلك الجريمة.

سليم:

- من السهل إصدار الأمر بحبسك حتى يصل سجل المكالمات الخاص بهاتفك، من المؤكد أننا سنحصل على عدد المحادثات بينك وبين السيدة (ناثالي)، يا لكما من ثنائي رائع للتخلص من (عبد الرحمن) من أجل الاستحواذ على ثروته!

ازداد السخط والحدة في الكلام، فلم يكن (هشام) مجرد خادم للسيد (عبد الرحمن) كما يظن الجميع، إنما هو المحامي الخاص به منذ أكثر من سبعة أعوام، والذي استعان به (عبد الرحمن) لتميزه في عمله، حيث إنه اعترض على الادعاءات الكاذبة التي قد تدفعه إلى رفع قضية ضد وزارة الداخلية التي تحاول جعل الشاهد كبش فداء لإنهاء القضية، وبخاصة بعدم وجود أي دليل على مقتل (عبد الرحمن) الذي كان يعاني حالة جنون في أيامه الأخيرة بسبب مظروف ساذج، وأكد (هشام) أن له الحقوق كافة للمغادرة على الفور لعدم وجود أي دليل للإدانة.

على الرغم من التهديدات الواضحة والصريحة، فإنها لم تكن ذات تأثير على (سليم) الذي أكد أنه يعمل طبقًا للقوانين كافة التي تحترم حرية المواطنين، وطبقًا لقانون أن المتهم بريء حتى تَثبُت الإدانة، لكنه ما زال متهمًا، ومن حق الضابط أن يحقق مع أي

متهم حتى لو استمر التحقيق لأيام، وبخاصة أن (هشام) هو آخر شخص كان موجودًا مع الضحية، مما يجعله المتهم الأول، وقد تستمر ضيافة إدارة المباحث لضيفهم (هشام) إلى أكثر من مجرد أيام لحين وصول تقرير الطب الشرعي النهائي.

أدرك (هشام) أن الصراع قد يستمر طويلًا، وأن تهديداته البالية أثارت غضب الرائد (سليم) الذي وجه أصابع الاتهام كافة إلى الزائر الأخير للضحية، لكن وجب عليه التظاهر بالثبات لحين الانتهاء من تلك الورطة التي ازدادت تعقيدًا فور الدخول المفاجئ للنقيب (مصطفى) ليبلغه بالكارثة الجديدة.

مصطفى:

- سيادة الرائد، لدينا ضحية جديدة ونفس الرسالة.

4

حل الظلام منذ ساعات، واقترب موعد النوم، وقد أوضح (شريف) هذا الأمر أكثر من مرة إلى (سليم) الذي اضطر إلى الإسراع حتى وصل أخيرًا إلى بوابة المنزل المفتوحة، ليعبر بسيارته التي تتوقف وسط بعض سيارات الشرطة في الساحة الأمامية الخاصة بمنزل الدكتور (أكرم الألفي)، وبمجرد توقف السيارة خرجت (سمر) منطلِقة إلى داخل المنزل لمعرفة التفاصيل كافة من فريق البحث الجنائي، بينما تتباطأ خطوات (سليم) منتظرًا (شريف) الذي وقف متأملًا البوابة الخارجية للمنزل وبعض أجزاء الساحة، الأمر الذي جعل (سليم) يترك صديقه من أجل التحقيق مع شهود العيان.

أخذت عينا (شريف) تجوب أرجاء الساحة، متأملةً كاميرات المراقبة الخاصة بالمنزل، بالإضافة إلى نوافذ المنزل الزجاجية التي يمكن رؤية المنزل من خلالها، ما عدا بعض النوافذ التي أُخفي ما خلفها بالستائر السميكة القاتمة، وبالأخص في الطابق العلوي، أو بالتحديد في واحدة من الغرف التي تبدو غرفة النوم الرئيسية، لكن لم يستمر التأمل كثيرًا، إذ بدأت الخطوات بالتوجه داخل المنزل والوقوف بعيدًا عن مسرح الجريمة قليلًا، حيث أخذ يشاهد (سمر) وقد ارتدت القفازات الطبية لتبدأ فحص الجثة مع فريق البحث في الوقت الذي لوَّح (سليم) له للاقتراب والمشاركة في استجواب كلٍّ من الشاهدين اللذَين أصابهما القليل من التعجب من هدوء (شريف) المريب وعدم تجاوبه مع (سليم)، وازدادت الغرابة عندما توجه (شريف) نحو الدرج وصعد إلى الطابق العلوي، ليتقدم بعض الخطوات ليبدأ برؤية كل شيء بوضوح بعد أن وقفت قدماه تحديدًا في النقطة التي سقطت منها الضحية من الأعلى حتى سقطت على الطاولة الزجاجية الموجودة بالطابق السفلي، حيث يتجمع خبراء البحث حول الضحية الثانية المرتدية رداءً أبيض فاضحًا قد تحول إلى الأحمر من دمائها التي سالت منها بعد أن اخترق الزجاج كامل جسدها، بينما يستكمل (مصطفى) التحقيق مع كلٍّ من الدكتور (شوقي أبو خطوة)، والحارس الخاص بالمنزل (عم جابر)، بينما يقف الأمين (خالد) بعيدًا عنهم في أثناء تحدثه هاتفيًّا، والذي يبدو من ابتسامته أنها مكالمة غرامية قد لاحظها (مصطفى) الذي صرخ في وجهه مرة أخرى للعودة إلى العمل، وفي تلك اللحظة يصعد (سليم) إلى الطابق الأعلى ليقف بجانب صديقه، عسى أن يعثر على بعض التفاصيل التي قد غفلها، فيبدأ سيادة الرائد بسرد المعلومات كافة الخاصة بالضحية ذات الرداء الأبيض، الدكتورة (أسماء راشد) البالغة خمسًا وأربعين من العمر، متخصصة في جراحة المسالك البولية، والمالكة لمستشفى الشرق الأوسط الذي

يبعد عشر دقائق عن المنزل، كما أنها زوجة الدكتور (أكرم الألفي) الموجود حاليًّا بألمانيا لحضور مؤتمر طبي عن أمراض الفشل الكلوي.

سليم:

- طبقًا لأقوال الدكتور (شوقي) مساعد الدكتورة (أسماء) أنها كانت من المفترض لها السفر مع زوجها، لكنها فضلت البقاء لافتتاح عيادات غسيل الكلى الجديدة بالمستشفى.

شريف:

- كلاهما سقط من الأعلى.

أُصيب (سليم) ببعض من اليأس المعهود بسبب صمت (شريف) بعد التشويق بابتسامته غير المعلوم سببها، وانتابه بعض الغضب عندما تركه (شريف) وتوجه إلى غرفة النوم الخاصة بالضحية للبحث عن بعض الأدلة التي لم تكن واضحة حتى لفريق البحث الجنائي الذي قد سبق وعاين الغرفة من قبل، والتي لا تدل على وجود أي شخص مع الضحية أو أي دليل على العنف، وبالتالي لا يوجد دليل على وجود جريمة قتل سوى رسالة (عزرائيل) التي قامت بوضعها على المكتب الخاص بها بالغرفة، لكن على الرغم من كل ذلك، فإن هناك بعض الأدلة قد غفلها فريق البحث الجنائي الذي لم يلحظ غطاء السرير غير المهندم من الطرف الأيسر، إذ يبدو أن الضحية قد سقطت على ركبتيها وأمسكت بذلك الغطاء بكل قوة من شدة الألم، حتى إنها غرزت أسنانها بغطائها، لكن لم تنتهِ الأدلة، بل ازدادت عندما توجه (شريف) إلى دورة المياه الملحقة بغرفة النوم ليجد بصمات كلتا يديها على المرآة، ليستنتج (شريف) أن عدم الاتزان لدى الضحية دفعها للاتكاء على المرآة، لينتهي البحث ويخرج (شريف) من الغرفة ليقف مجددًا للحظات في النقطة التي سقطت منها الضحية فلا يجد أي أثر للعنف أو دفعها من الأعلى مما يؤكد أن الوفاة طبيعية.

انتهت الجولة بالطابق العلوي، فاستقل (شريف) الدرج وصولًا إلى صديقه، ناظرًا إلى الشاهدين كليهما بابتسامته المعهودة.

شريف:

- أنت في ثلاثينيات عمرك.

عم الصمت للحظات، لكن سرعان ما أجاب الدكتور (شوقي أبو خطوة) وأكد صحة استنتاج (شريف)، فقد بلغ (شوقي) الأربعة والثلاثين من عمره، كما كان استنتاج (شريف) صحيحًا لعُمر (عم جابر) البالغ من العمر ثلاثة وخمسين، وعلى الرغم من أن المحادثة لم تكن لها علاقة بالتحقيق، فإنها جعلت التحقيق مريبًا بعض الشيء، الأمر

الذي اضطر (سليم) إلى استكمال استجوابه مع (عم جابر) الذي أكد أن الدكتورة (أسماء) قد وصلت إلى المنزل وحدها قبل الغروب بساعة واحدة فقط، ولم يأتِ أي زائر لها طوال اليوم، لكنه قد سمع صوت تحطم قادم من داخل المنزل، الأمر الذي دفعه للانطلاق نحو المنزل، وبعد الطرق المستمر دون أي إجابة، اضطر إلى كسر الباب الرئيسي واقتحام المنزل.

جابر:

- لكنني وجدت الدماء تسيل من كل مكان، فلم أجد سوى الاتصال بالدكتور (شوقي) للحضور على الفور.

استكمل (شوقي) باقي الأحداث عندما تلقى اتصالًا هاتفيًّا من (عم جابر) ليبلغه عن الحادث، ليخرج (شوقي) مسرعًا من المستشفى من أجل الوصول إلى رئيسته في دقائق معدودة، لكن لم ينتصر الإسراع على القدر المحتوم.

شوقي:

- تفقدت النبض لكن قد سبق السيف العذل، وأبلغتُ الشرطة على الفور.

سليم:

- وكم هي المسافة بين المستشفى والمنزل؟

شوقي:

- لا أدري تحديدًا، لكن تتطلب المسافة سبع أو ثماني دقائق للوصول إلى هنا.

كانت الرواية شبه كاملة، لكن يشوبها خطب ما، أو هذا مجرد شعور لدى الرائد (سليم) الذي تعجب من ترك الضحية في وضعيتها دون التفكير في إخراجها من وسط الحطام لعمل الإسعافات الأولية لها، لكن على الرغم من إجابة (شوقي) الطبية المعقدة قليلًا، فإنها يشوبها بعض الغرور، إذ إنه أكَّد أكثر من مرة أن مهارته الطبية تستطيع التفريق بين الحالات الحرجة والحالات المنتهية.

مصطفى:

- ماذا عن رسالة التهديد؟

كانت الرواية متشابهة بشكل كبير مع الجريمة السابقة، وازداد التشابه في المدة الزمنية، حيث تم إرسال باقة من الزهور المغلفة بإحكام إلى الدكتورة (أسماء) في المنزل منذ ثلاثة أيام، وأصاب (أسماء) الفزع فور قراءة تلك الرسالة الموضوعة بداخل الباقة، ولم يكن وصف (جابر) دقيقًا لهُوية من أحضر الباقة إلى المنزل لأنه كان شابًّا يبدو في

الثلاثينيات من عمره، ملتحيًا مرتديًا نظارة سوداء كبيرة تغطي وجهه بالكامل، حتى شعره أخفاه بقبعة سوداء.

أكمل (شوقي) روايته، حيث حضر إلى المنزل فور مكالمة هاتفية من الدكتورة (أسماء) المصابة بحالة من الرعب، واستمرت محاولات (شوقي) لطمأنتها ووعده بحمايتها، ولم يجد أي سبب منطقي لهذا القدر من الخوف، والتي نجحت في تخطيه في اليوم الأول، لكن سرعان ما عاد الفزع ليسكن قلبها من جديد في اليوم الثاني بعد المكالمة الهاتفية.

شوقي:

- كانت مكالمة غامضة حتى بالنسبة لي، فقد سمعت الدكتورة (أسماء) شيئًا خافت أن تبوح به، لكنها قالت: "إنه قادم لتصفية حسابات الماضي»، الأمر الذي جعلها تذهب وحدها في اليوم الثالث لدفع الخمسة ملايين، وقد عادت إلى مكتبها في سعادة عارمة، وعلى الرغم من التساؤلات عن هُوية المرسل أو حتى مكان اللقاء، فإنها رفضت التحدث عن هذا الأمر مجددًا.

على الرغم من أن الأدلة كافة تؤكد أنه حادث لا يشوبه أي جناية أو جريمة، فإن الأمر أثار الريبة في عقل (سليم)، ليس فقط بسبب رسالة (عزرائيل)، إنما بسبب اختفاء جهاز تخزين تسجيلات كاميرات المراقبة كافة، وما أكد له أن الأمر أكثر من مجرد حادث هو أقوال (جابر) وتأكيده المستمر أن الضحية كانت وحدها طوال الوقت.

في تلك اللحظة ظهر الصوت المنتظر الذي بدأ بطرح أسئلته الغامضة وبالأخص السؤال الذي كرره أكثر من مرة على الرغم من أن الإجابة لم تتغير، إذ نفى (عم جابر) مجددًا وجود أي زائر للدكتورة (أسماء) هذا اليوم، بالإضافة إلى السؤال الموجه إلى (شوقي) عن مكان وجوده قبل اتصال (جابر) به، وأكد أنه كان بمكتبه داخل المستشفى.

تحرك (شريف) بعض الخطوات إلى الأمام نحو مسرح الجريمة، وتحديدًا بالقرب من الطاولة الزجاجية التي تحمل الضحية من قبلها زجاجة من الخمر وكأسين مهشمتين، إحداهما بجانب الضحية مباشرة والأخرى بعيدة عن الطاولة تمامًا.

شريف:

- الكأس الثانية كانت في يد الشخص المرافق لها، قام بإلقاء الكأس بعيدًا وأخذ جهاز تخزين تسجيلات كاميرات المراقبة حتى لا يظهر بالتسجيلات، لكن بالتأكيد تسجيلات المستشفى ما زالت موجودة. كاميرات المراقبة توضح وقت خروج (شوقي) من المستشفى، (شوقي) صاحب الكأس الثانية.

لحظات بسيطة من الصمت تصاحبها تمتمة (جابر) المتصبب عرقًا لمجرد الشعور بكشف المستور، وما هي سوى لحظات حتى تقدم (سليم) خطوتين إلى الأمام نحو الحارس بنظرات التهديد والوعيد التي أجبرت (جابر) على الاعتراف على الفور مشيرًا إلى الدكتور (شوقي) الذي وعده بآلاف الجنيهات لإخفاء الحقيقة.

جابر:

- لكنني رفضت المال، وما قصدت إلا ستر نزواتها والحفاظ على سيرتها الطيبة.

تحولت النظرات إلى (شوقي) الذي لم يستطع الإنكار وبخاصة بعد الأمر الذي أصدره الرائد (سليم) بإفراغ كاميرات المراقبة الخاصة بالمستشفى لمعرفة التوقيت الفعلي لخروج الدكتور (شوقي) من المستشفى والتأكد من خروجه وحيدًا كما ذكر، أو خروجه في سيارة رئيسته في العمل وعشيقته، كما يسهل الحصول على بصمات (شوقي) من غرفة نوم الضحية لإثبات العلاقة السرية. فاقترب (شوقي) سريعًا من (سليم) هامسًا متوسلًا التكتم على هذا السر حفاظًا على مستقبله الطبي المهني.

شوقي:

- لقد أصرت على الاحتفال بالانتهاء من هذا التهديد، لذلك انتهينا من العمل وأتينا إلى المنزل، وقد صعدت إلى غرفتها لتغيير ملابسها، وانتظرتها بالأسفل لكنني تفاجأت بسقوطها من الأعلى، أُصبت بصدمة للحظات، لكني أدركت أنني المتهم الوحيد في تلك القضية وإن أثبتُّ براءتي، انتهت حياتي المهنية، فأخذت جهاز التسجيلات وخرجت على الفور بعد الاتفاق مع (جابر) على حفظ السر.

شريف:

- هل كانت على علاقة بـ (عبد الرحمن مكاوي)؟

شوقي:

- أنا أعمل معها منذ سبعة أعوام، ولم أقابله قط، ولا أتذكر أنها ذكرت أي معرفة به، لكن أصابها الفزع عندما قرأت خبر وفاته في الصحف، حتى إنها احتفظت بهذه الصحيفة في ملفها الخاص بالمكتب.

سليم:

- على ماذا يحتوي هذا الملف؟

وضح (شوقي) أن هذا الملف يحتوي على بعض الأخبار التي قامت بقصها من عدة صحف قديمة، حتى إنه في إحدى المرات تصفح هذا الملف لمعرفة ما تخفيه (أسماء)،

لكن بدت جميع الأخبار عادية، أو ربما تحمل تلك الأخبار أسرارًا.

على الرغم من التعاون الشديد من قبل (شوقي) الذي استحق الثناء من سيادة الرائد، فإنه أمر بالقبض على الطبيب والحارس بتهمة الشروع في قتل الدكتورة (أسماء) لحين الحصول على تقرير الطبيب الشرعي الذي يبدو قريبًا من تقرير الضحية السابقة، أو على الأقل هذا ما جال في خاطر (سمر) التي لم تجد أي أثر لعنف أو ضرب على جسد الضحية من خلال الفحص المبدئي، وقد راود (سليم) هذا الشعور، ولم يكن أمامه أي سبيل للحصول على إجابة سوى النظر إلى (شريف) ذي الابتسامة الغامضة.

سليم:

- هل تريد إخباري بشيء؟

شريف:

- أصبح الأمر مثيرًا للاهتمام.

5

كان يشعر بالطبول تدق داخل رأسه، لذا فضَّل وضع جميع المشتبه بهم في مكتب (مصطفى)، سواء إن كان (هشام)، أو حتى دكتور (شوقي) و(عم جابر)، وفضَّل الجلوس في هدوء في مكتبه لحين الانتهاء من بعض أكواب القهوة، ولم يكن وحيدًا بمكتبه لاصطحابه (شريف)، لكنه كان على يقين بأنه لن يكون مصدر إزعاج له، لكن ازداد الطبل بدخول (سمر) التي لم تتوقف عن الكلام عن تلك الرسالة الغامضة التي تتنبأ بموت المرسَل إليه، إذ ربما رجل من المستقبل، أو أحد العرافين المتواصلين مع الجان.

على الرغم من توسلات (سليم) لها وطلب قسط من الراحة والتوقف عن أي حديث يخص القضية، فإن الصمت لم يظل طويلًا، ولم يكن من شيم (سمر)، لذا فضلت بدء الحديث مع (شريف) الذي لا ينظر إلى أي شيء بالمكان سوى باب المكتب.

سمر:

– ما رأيك في نظريتي؟

شريف:

– ترهات لا أساس لها من الصحة.

سمر:

– دعني أقدم لك نصيحة نادرة، عندما تجلس مع فتاة يجب أن تنصت إليها وتؤيد أفكارها وتنافقها.

شريف:

– تريدين أن أكذب وأنافق من أجلك؟

سمر:

– بالطبع.

شريف:

– كل النساء تؤيد كلامك؟

سمر:

- بالتأكيد.

شريف:

- أنت تريدين أن أنافقك وأنتِ على علم بهذا النفاق؟

سمر:

- نعم.

شريف:

- ترهات لا أساس لها من الصحة.

على الرغم من الألم الملازم لرأس (سليم)، لكن لم يمنعه عن الضحك عما قاله (شريف) الذي ظهرت الابتسامة على وجهه، لكن ليس بسبب ما قاله لـ (سمر)، إنما لدخول الأمين (خالد) حاملًا ما كان ينتظر (شريف)، لينهض (شريف) مسرعًا لأخذ الملف من يد (خالد) الذي تركه بالفعل بأمر من الرائد (سليم) الذي تلقى اتصالًا هاتفيًّا من (مصطفى) يبلغه بآخر المستجدات الخاصة بملهى القيصر، إذ تم التحقيق مع الموظفين كافة لمعرفة أي معلومات أو أدلة لها علاقة بـ (عبد الرحمن مكاوي)، لكن الشيء الذي يبدو عجيبًا بعض الشيء هو اختفاء ثلاثة من الموظفين قبل وفاة (عبد الرحمن مكاوي) بأيام، الأمر الذي جعل (سليم) يقوم بالاستدلال على عناوينهم وتحديد موعد مع مدير الملهى بصفة ودية لتفقد كاميرات المراقبة، إذ وجد (سليم) أنه من الأفضل الحذر في مشاهدة الكاميرات التي قد تحمل مشاهدَ لأصحاب السلطة المترددين على الملهى.

في الوقت الذي كان يتفقد (شريف) كل ما يحمله الملف من قصاصات أو أخبار، اقتربت (سمر) منه محاوِلة تفقد الملف معه، فكانت المفاجأة عندما طلب (شريف) منها الذهاب لإحضار تقرير الطبيب الشرعي الخاص بـ (أسماء)، الأمر الذي أصابها بشيء من الحرج، وبخاصة بعد ضحكات (سليم)، مما زادها غضبًا بسبب تلك الوقاحة.

سمر:

- أنت تنهي علاقتنا سريعًا.

لم تنتظر (سمر) أي رد من (شريف)، وغادرت على الفور دون الاستماع إلى اعتذار (سليم)، أو حتى النظر إلى (شريف) الذي ظل ينظر نحو الباب بوجه يعتليه الحزن الذي لاحظه (سليم)، وعندما حاول سؤال (شريف) عن سبب الوجه العابس، تهرب سريعًا وعاد بنظراته إلى الملف الذي يحتوي على العديد من الأخبار غير الشيقة، مثل خبر افتتاح مستشفى الشرق الأوسط منذ تسع سنوات، وخبر في صحيفة منذ عشر

سنوات عن العثور على جثة في أحد المصارف لشخص يُدعى (ياسين فواز)، بالإضافة إلى بعض الأخبار الخاصة باختفاء المحامي (رفعت عبد الستار)، وبعض الأخبار الطبية والمقالات العلمية لبعض الأطباء.

لم يهتم (شريف) بالدخول المفاجئ لـ (مصطفى) الحامل لمعلومات جديدة ومهمة تكاد أن تنهي القضية، لذا فضَّل (شريف) النهوض من مكانه والجلوس بعيدًا عن المكتب لحين انتهاء (سليم) من التحقيق، إذ أمر بإحضار (هشام) من مكتب (مصطفى)، لمواجهته بالأدلة الجديدة التي عُرِفت من البنك، وقد أكدت أن (عبد الرحمن) قام بسحب خمسة ملايين من الجنيهات من حسابه الخاص، وقد تم هذا الأمر في حضور مدير البنك و(هشام الإبياري) الذي قام بوضع مبلغ اثنين مليون جنيه في حسابه الخاص في اليوم التالي.

مصطفى:

- أظهرت كاميرات البنك أنك من قمت بحمل حقيبة المال بنفسك، ومن الواضح أنك قمت بسرقة جزء من المبلغ.

هشام:

- وهل اتُّهِمتُ بالسرقة من صاحب المال؟

سليم:

- بالطبع لا، لكنني على موعد مع الأرملة (ناتالي)، لذا يمكننا مناقشة الأمر معها.

وفي لحظات قليلة، سقطت عباءة الشجاعة وبدأ (هشام) في التوسل إلى الضباط لكتمان السر، ليعترف بأخذ المال واستعداده لرده مرة أخرى في الحال، ولم ينتظر أمر سيادة الرائد، إذ بدأ بسرد الحقيقة كاملة بعد أن أخفى الكثير، فأكد أن السيد (عبد الرحمن) قد تلقى اتصالًا بالفعل في اليوم الثاني، واستشاط غضبًا في بداية المكالمة الهاتفية، لكن هناك شيئًا قد سمعه (عبد الرحمن) جعله يتحول من الثور الغاضب إلى حمل مرتعد، وتحولت علامات الغضب إلى فزع، حتى لم تستطع قدماه حمله، ووافق على الفور على دفع المبلغ.

سليم:

- ما الذي سمعه في المكالمة؟

هشام:

- أقسم لك إنني لا أعلم شيئًا، فلم أجد الرعب في قلبه طوال سنوات العمل معه، لذا أظن أنه شيء من الماضي.

سليم:

- وأين المال؟

أكمل (هشام) ما حدث عندما توجه مع السيد (عبد الرحمن) إلى البنك لسحب المال، ثم عاد إلى منزله مع مساعده، منتظرين حتى الساعات المتأخرة من الليل للمكالمة الأخيرة التي ستخبره بمكان اللقاء، في هذا الوقت اعترف (هشام) بأنه أخذ حقيبة المال ووضعها في سيارته، ثم أخذ المليونين من الشنطة في خفية عن الجميع، ووضعها أسفل الإطار الإضافي للسيارة، وعاد مجددًا ليخبر سيده بأنه تحقق من المبلغ كاملًا داخل الحقيبة.

وبعد طول انتظار وصلت المكالمة ليخبره الموت بمكان التسليم، والذي زاد الخوف في قلب (عبد الرحمن)، حتى ظن (هشام) أن اللقاء في القبور، ولكن لم يكن سوى شقة مهجورة في وسط البلد، فانطلق (عبد الرحمن) و(هشام) في الحال بالسيارة ومن خلفهم سيارات الحرس، وبمجرد الوصول أمر (عبد الرحمن) الحرس بالانتظار، طبقًا لتعليمات (عزرائيل)، لكن (هشام) قد أصر على مرافقته، ودخل تلك العمارة القديمة الطراز، وصعد الدرج في حذر، لكن الشيء الذي تعجب منه (هشام) هو وجه (عبد الرحمن) الذي كان مليئًا بالحزن وليس الخوف، حتى خطاه كانت على معرفة بتلك الدرجات، وكأنها زارته من قبل، ووصل (عبد الرحمن) إلى الطابق الثالث ليجد بابين في الطابق، وتوجه دون تردد نحو الباب الأيمن، فاقترب دون تردد وانحنى ليحضر المفتاح المخبأ أسفل الدواسة، ثم قام بفتح الباب، وعلى الرغم من تردد (هشام) بالدخول فإنه قد وجد سيده دخل بالفعل إلى ذلك المكان المظلم بخطوات يائسة، أحكم (هشام) قبضته على حقيبة المال وخطا خطوته الأولى في الظلام، ثم أخذ يتحسس الحائط حتى وصل أخيرًا إلى مفتاح الإنارة، استغرق الأمر دقيقة واحدة لكنها كانت أطول دقيقة في حياة (هشام) الذي دخل إلى الظلام لمقابلة (عزرائيل)، لكنه نجح في النهاية في إنارة الشقة الكبيرة الخاوية من الأثاث، والتراب كأمواج البحر بداخلها، ووجد سيده واقفًا في وسط الصالة الواسعة الخاوية مغمض العينين والدموع تسيل دون حرج، حتى إنه أمر (هشام) بوضع الحقيبة أمام تلك المدفأة الصناعية الموجودة على الحائط المجلد بخشب الزان القديم في الصالة، طبقًا لأوامر (عزرائيل) والرحيل دون سؤال، لكن لم يكن الأمر يعني (هشام) في شيء، إذ وضع الحقيبة على الأرض الخشبية بالفعل، لكنه أخرج المسدس من جيبه ثم تحرك بخفة وحذر في أرجاء الشقة للبحث عن هذا المجنون الذي يريد أخذ كل هذه الأموال بمجرد تهديد لا قيمة له، فأخذ ينتقل من غرفة إلى

أخرى تاركًا (عبد الرحمن) واقفًا مكانه ناظرًا بتعجب إلى تلك المدفأة الملتصقة بالحائط المغطى بالتجاليد الخشبية، وأخذ يبحث في كل مكان حتى دورة المياه والمطبخ، لكن دون نتيجة، فأعاد (هشام) المسدس إلى مكانه، وأخذ سيده للعودة إلى السيارة مرة أخرى، وانطلقت السيارات إلى الشارع الجانبي للاختباء فيه، حيث ظل (هشام) والحرس في مراقبة العمارة من جميع الجهات، حتى إنه أصدر أمرًا لأحد الحراس بالصعود إلى سطح العمارة والانتظار حتى إشعار آخر، وأصدر أمرًا بتفتيش أي شخص يدخل أو يخرج من هذه العمارة حتى وإن كان رضيعًا، وظل الوضع هادئًا حتى صباح اليوم التالي، وقد أصبح الانتظار يشعل الصدور ويزيد القلق والحدة، فانطلق (عبد الرحمن) ومن خلفه (هشام) والحرس إلى الشقة فاقتحموها هذه المرة.

هشام:

- لكن لا أثر للمال، ولا أثر لإنسان دخل هذا المكان.

لم يستمر الحديث طويلًا، إذ توجه (عبد الرحمن) ومن معه إلى فندق المطار على الفور للهرب خارج البلاد، وأقسم (هشام) على أن ما قاله هو الحقيقة التي لا يعلم سواها، كما أقسم على رد الأموال إلى حساب السيد (عبد الرحمن) مرة أخرى في مقابل عدم إخبار (ناثالي) بهذا الأمر، وبخاصة أن الأموال لا علاقة لها بموت (عبد الرحمن).

سليم:

- أو ربما مات بسبب المال الذي سرقته، سنرى بشأن هذا الأمر. الآن أخبرني بمكان هذه الشقة.

6

يصل الجميع إلى الطابق المنشود ذي الإضاءة الخافتة، ليأخذ الأمين (خالد) المفتاح من أسفل الدواسة بعد إنهاء مكالمة الهاتف سريعًا مع حبيبته، ليفتح باب الشقة ويدخل بحماسة شديدة، حاملًا سلاحه ليمد يده ليبحث عن مفتاح الإنارة للتخلص من هذا الظلام الدامس، وفور الوصول أُنيرت الشقة بالكامل، ليدخل كلٌّ من الرائد (سليم) و(مصطفى) في هدوء وضحكات ساخرة من انفعال (خالد) الذي اصطدم بالحائط وكاد أن يسقط أرضًا من حماسه المبالَغ فيه، ليبدأ الجميع البحث في أنحاء الشقة عن أي دليل، بداية من المكان الذي ترك (هشام) فيه حقيبة الأموال أمام المدفأة، حتى إن (سليم) مد يده داخل المدفأة عسى أن يجد أي باب سري، لكنها كانت في غاية الصلابة، بينما ظل (مصطفى) و(خالد) في البحث في الغرف الخالية لكن بلا نتيجة، ليتوقف البحث بعض الوقت من أجل إشعال بعض السجائر، في تلك اللحظة أدرك (سليم) أنه قد نسي شيئًا مهمًّا، ليخرج مسرعًا من الشقة ليجد (شريف) واقفًا بالخارج في الممر في هدوء مرتديًا كمامته ومرتديًا كشافًا أعلى الرأس، لكنه ينظر إلى باب الشقة المقابل له.

شريف:

- الأبواب متطابقة.

أدرك (سليم) على الفور مقصد صديقه، ليعود سريعًا إلى (مصطفى) لمعرفة التحريات عن صاحب تلك الشقة، ليخرِج (مصطفى) ورقة صغيرة من جيبه لتذكر اسم صاحب الشقة التي كانت المكتب الخاص بالمحامي (رفعت عبد الستار)، والذي أُغلق منذ ثماني سنوات.

سليم:

- هل كان يمتلك تلك الشقة فقط أم الطابق بأكمله؟

عم الصمت للحظات من أجل الإجابة عن هذا السؤال، لكن لم يستمر الأمر طويلًا، إذ أسرع الجميع خارج الشقة متجهين إلى الباب المقابل، حيث بدأ (خالد) بطرق الباب بقوة لعدة دقائق ثم نظر إلى سيادة الرائد الذي أومأ برأسه لينفذ الأمين (خالد) الأمر ويدفع الباب بكتفه بكل ما أوتي من قوة ليقتحموا الشقة شاهرين أسلحتهم في الوقت الذي كان يبحث (خالد) عن مفتاح الإنارة مجددًا لكنه وجده في وقت أسرع هذه المرة، ليجدوا التشابه الكبير بين تلك الشقة وجارتها مع فارق بسيط، ألا وهو الحائط الفاصل بين كلا الشقتين المصنوع من الألواح الإسمنتية الخفيفة، أما في منتصف

الحائط وبالتحديد في النقطة الموجودة خلف المدفأة، فقد وجد لوحًا أسمنتيًّا متحركًا، لذا تم حل لغز الشبح الذي لم تطأ قدماه أرض الشقة الأولى، إذ إنه يستعين بهذا الباب السري لأخذ الحقيبة، لذا بدأ الضباط بتفتيش تلك الشقة أملًا في الوصول إلى أي دليل جديد للوصول إلى المدعو (عزرائيل).

أخذ البحث وقتًا طويلًا لكن دون جدوى، فلم تكن تلك الشقة محمَّلة بالأتربة مثل الأولى، لذا من الصعب العثور على أي أثر لدخول أي شخص، في نفس الوقت يعد دليلًا على دخول أحدهم هذه الشقة بشكل دوري للتأكد من نظافتها، مما جعل كلًّا من (سليم) و(مصطفى) في حيرة من أمرهما، ولم يجد سيادة الرائد سوى الأمر بالبحث عن المدعو (رفعت عبد الستار) مالك كلتا الشقتين، آملًا أن يكون هو الشخص المنشود الذي قام بإرسال تلك الرسائل وأخذ المال من الضحايا، أو على الأقل هذا ما كان يأمله (سليم) لإغلاق ملف القضية.

لاحظ (سليم) الإرهاق على وجه (مصطفى)، وبخاصة أنه ما زال يتحرى عن العاملين بكازينو القيصر، بالإضافة إلى مشاهدة كاميرات المراقبة الخاصة بموقف السيارات، لذلك جعل (سليم) البحث عن (رفعت) الأولوية القصوى، والتغاضي عن أي شيء آخر.

شريف:

- مخطئ، حل اللغز في البداية.

سليم:

- إن كان عقلك يخفي شيئًا فمن الأفضل مشاركتنا، هل تعلم شيئًا؟

شريف:

- لا.

سليم:

- إذًا لماذا نبحث في الكازينو مجددًا؟ نحن حتى الآن لا نعلم عما نبحث، أخبرني أي شيء وسأتبع خطاك.

شريف:

- اقترب موعد النوم.

على الرغم من السخط الذي يسيطر عليه الغضب الذي يملأ صدر (سليم)، فإنه حاول تمالك أعصابه مجددًا، وارتداء قناع الهدوء لبعض الوقت، أو على الأقل حتى

يعيد (شريف) إلى منزله، لينظر (سليم) إلى زميله ليأمره بالعودة إلى المكتب والبدء في التحريات على الفور، على أن يذهب (سليم) إلى كازينو القيصر وينتهي من استجواب العاملين، لكن بعد أن يعيد (شريف) إلى منزله.

استقل (خالد) السيارة برفقة النقيب (مصطفى)، بينما استقل (سليم) سيارته وبجانبه (شريف) الذي يستمتع كعادته بالصمت الذي أصبح مزعجًا بالنسبة لـ (سليم)، إذ ما زال يطمح في الحصول على أي معلومة أو حل لتلك الألغاز المستمرة، وازداد غضبه عند سماعه في المذياع الخبر المتداول بين الناس عن رسالة (عزرائيل) الذي يبشر الناس بالموت بعد ثلاثة أيام، الأمر الذي جعله يلكم المذياع بقبضته فحطمه، ليعم الصمت من جديد بين الصديقين، لكن ليس لوقت طويل...

شريف:

- ليست جرائم عشوائية.

سليم:

- ماذا تعني؟

شريف:

- يوجد أغنياء في البلد، يمكن إرسال التهديد إلى العديد، التهديد وصل لـ (عبد الرحمن) و(أسماء).

سليم:

- حتى الآن لم نجد رابطًا بين الضحيتين.

شريف:

- أريد الذهاب إلى المستشفى غدًا.

سليم:

- هل أنت بخير؟

شريف:

- أريد تقديم العون، سأذهب إلى مكتب (أسماء) غدًا؛ الرابط هناك.

7

انتهى (شريف) من روتينه اليومي بالمنزل، بدءًا من رياضته الصباحية والاستحمام، ثم قراءة الصحف في أثناء تناول فطوره، غير مهتم برنين هاتفه، أو حتى مهتم بتلقي مكالمة من (سليم) الذي ينتظره بالخارج في سيارته، حيث تبقى اثنتا عشرة دقيقة حتى الخروج من المنزل، فلا شيء يستطيع خرق الروتين اليومي لـ (شريف)، لكنه التزم بموعد المغادرة وخرج من شقته متوجهًا إلى سيارة (سليم) الذي غط في نوم عميق، حتى إنه لم يستيقظ من دخول (شريف) السيارة، لكن الأغرب هو رد فعل (شريف) الذي ارتدى سماعات الأذن واستمع إلى الموسيقى، حتى استمر (سليم) في سباته لعشر دقائق أخرى، حتى استيقظ فجأة من أصوات السيارات من حوله، ولم يتعجب من جلوس (شريف) بجانبه، حتى إنه لم يفكر بسؤال صديقه عن سبب التأخر أو حتى سبب عدم إيقاظه، لينطلق (سليم) بالسيارة في صمت لم يستمر طويلًا بعد ملاحظة (شريف).

شريف:

- هذا ليس طريق مستشفى الشرق الأوسط.

سليم:

- لا، سنذهب إلى الإدارة للتحرك مع القوة، لقد وجدنا مخبأ (رفعت عبد الستار).

شريف:

- هذا ليس طريق المستشفى.

سليم:

- لقد أخبرتك بأننا وجدنا (رفعت) صاحب الشقة، قد يكون (عزرائيل).

شريف:

- حسنًا، أريد النزول من السيارة.

لم يكن (سليم) في كامل وعيه، حيث شرح بنبرة حادة أنه قد قضى الليل مستيقظًا مع أعوانه من أجل الوصول إلى مزرعة (رفعت) بالطريق الصحراوي الذي اختبأ بها منذ عدة سنوات، وكان من الصعب العثور عليها، إذ إنها ما زالت باسم زوجته الأولى التي توفيت منذ أكثر من عشرين عامًا، كما أنه استمر في مشاهدة كاميرات المراقبة الخاصة بكازينو القيصر، بل وازداد إجهادًا واجتهادًا عندما ذهب لاستجواب العاملين

والموظفين قدر المستطاع، لذا لم يكن (سليم) قادرًا على المجادلة مع صديقه الغامض، فأوقف السيارة على الفور، وخرج (شريف) ليستكمل طريقه وحده إلى المستشفى، الأمر الذي زاد من غضب (سليم)، ليخرج من السيارة متجهًا إلى (شريف)، لكنه حاول قدر المستطاع التحكم في غضبه، طالبًا من (شريف) العودة للسيارة مرة أخرى واستكمال التحقيق طبقًا لما يراه (سليم)، لينظر (شريف) إلى صديقه المرهق.

شريف:

- هل تعرف (رفعت عبد الستار)؟

سليم:

- نعم، كان محاميًا بارعًا، فقد تولى أكثر من...

شريف:

- هل تعلم كم يبلغ عمرًا؟

سليم:

- لا أعلم، لكن ربما أتم السبعين أو ربما زاد عليهم.

شريف:

- (جابر) قال إن من أحضر الرسالة في الثلاثينيات من عمره.

وقف (سليم) في حالة صمت للحظات محاولًا تذكر شهادة (جابر) على الأمر في اللحظة التي استمر فيها (شريف) في سيره بعيدًا، لكن سرعان ما ذهب (سليم) خلفه محاولًا فرض نظريات وجود شريك مع (رفعت) أو إرسال شخص للضحايا، من أجل إرسال الرواية، أو ربما يحمل إجابة عن السؤال الذي أصاب الأمن والعامة بالحيرة؛ من هو (عزرائيل) الذي يتنبأ بالأقدار؟ وإن كان القاتل فكيف قتل دون الاقتراب منهم؟

شريف:

- أين بقية موظفي الكازينو؟

تعجب (سليم) من هذا السؤال، لكنه حاول العثور على الإجابة، عسى أن يتلقى أحد حلول المحقق (شريف هدهد)، إذ إنه أخرج من جيبه ورقة صغيرة تحمل أسماء ثلاث نادلات من كازينو القيصر، (عفاف هاشم) و(فريدة عبد القادر) و(سلمى الجوهري)، إذ لم يُحقَّق معهم بعد، لتغيبهم لأسباب مختلفة، كما أرسل الأمين (خالد) لاستدعائهن والتحقيق معهن.

شريف:

- يجب التحقيق معهن.

ازداد سخط (سليم) وغضبه لعدم الحصول على أي معلومة مفيدة من صديقه، بل وانفعل بعض الشيء لعدم قدرة (شريف) الخارقة وذكائه
اللا محدود في العثور على دليل واحد، الأمر الذي اضطر(شريف) إلى التوقف عن السير ثم النظر نحو صديقه، ليخرج له رسالة (عزرائيل) ليؤكد (شريف) أن الكثير من القصاصات مأخوذ من المجلات الطبية العربية التي تُباع في أماكن محدودة، ليستنتج أن المرسِل من الممكن أن يكون طبيبًا.

صمت (شريف) للحظات حتى استطاع أن تنظر عيناه مباشرة إلى وجه (سليم)، ليعترف أنه لا يعلم كيف قُتلوا، لكنه يؤكد أنها جرائم قتل، كما أنه يؤكد أن السر موجود في ملفات المستشفى.

على الرغم من حالة الغضب بسبب هذه القضية، فإنه اعترف أن (شريف) دائمًا على حق، وأنه لم يخطئ مرة واحدة في أي قضية، حتى إنه وجد أن إصرار (شريف) على الذهاب إلى المستشفى يبدو صحيحًا بعض الشيء لجعل فريق البحث ينتشر في أكثر من مكان للوصول إلى النتيجة في أسرع وقت، لذا أخمد (سليم) غضبه في الحال وطلب من صديقه العودة إلى السيارة من أجل الذهاب إلى إدارة المباحث أولًا، ثم إلى المستشفى، فلا يستطيع (سليم) إرسال (شريف) وحده للتحقيق في جريمة، الأمر الذي جعل (شريف) يعود إلى السيارة، ليجلس في هدوء وصمت مستمعًا إلى موسيقاه مجددًا.

وصلت السيارة إلى ساحة القسم، وبينما كان يجلس (شريف) داخل السيارة في هدوئه المعتاد، خرج (سليم) من السيارة متوجهًا نحو القوة المنتظرة الأمر بالتحرك، فاستقبله (مصطفى) بخبر وصول زوج الدكتورة (أسماء) إلى القسم وتم التحدث معه، لكن لم نجد أي معلومة جديدة قد تفيدنا، وعلى الرغم من الإنكار الشديد لمعرفة أي شيء، فإن (مصطفى) قد لاحظ بعض القلق على وجه الدكتور (أكرم) عند سماعه لاسم (عبد الرحمن مكاوي)، في تلك اللحظة بدأت نظريات (شريف) تتأكد في (سليم)، لكن ما زال على يقين من سيره في الطريق الصحيح، حيث تحدث مع (مصطفى) طالبًا أي اقتراح لحل تلك الأزمة وإصرار (شريف) الشديد على الذهاب إلى المستشفى، وعلى الرغم من معرفة مدى ذكاء (شريف) فإن (مصطفى) وجد الذهاب لتفقد بعض الملفات بالمستشفى ما هو إلا مضيعة للوقت لا أكثر، ولكن (مصطفى) قد أخرج هاتفه للتحدث مع الدكتور (شوقي) ليخبره بانتظار أحد أفراد المباحث للتحري عن بعض الأمور والتحقيق مع بعض الأشخاص، كما أمره بالتعاون بكل صدق وأمانة، وأكد (مصطفى) أن الدكتور (شوقي) ما زال المتهم الأول حتى الآن بما أنه العشيق السري،

لذلك استجاب الدكتور (شوقي) على الفور مرحِّبًا بأي فرد من أفراد الشرطة داخل المستشفى، ليقسم على التعاون الكامل والصادق من أجل حفظ السر.

لم يتبقَ سوى مشكلة أخيرة واختيار سعيد الحظ، المرافق لــ (شريف) في رحلته إلى المستشفى، ليتهرب (مصطفى) سريعًا وبخاصة بعد إتمامه للتسهيلات التي قام بها من خلال مكالمة الهاتف، أما بالنسبة لــ (سليم) فكان من الصعب ترك خيط مهم مثل التحقيق مع (رفعت عبد الستار) لمجرد اتباع حدس (شريف). وفي أثناء المشاورات والترشيحات لأسماء بعض الضباط القادرين على تحمل أسلوب (شريف) الغامض، أتت النجدة أخيرًا لتحسم الأمر، إذ وصلت (سمر) بسيارتها لإحضار التقرير الطبي النهائي الخاص بالدكتورة (أسماء)، والذي أكد أن الوفاة طبيعية، لكن لم يهتم (سليم) بالنظر إلى الملف وأخذ يتوسل إلى (سمر) لمرافقة (شريف) إلى المستشفى، لكن الرفض كان الإجابة الأولى والحيدة، وبخاصة بعد المحادثة الأخيرة بينها وبين (شريف)، لكن لم يستمر الرفض طويلًا، إذ إنها وافقت على أنه مجرد معروف لــ (سليم) الذي وعدها بالتحدث مع والدها من أجل الموافقة على الاستقلال بذاتها والعيش وحدها.

عاد (سليم) مسرعًا إلى سيارته للتخلص من صديقه المزعج، لكن أوقفه من هو أكثر إزعاجًا، إذ وقفت أمامه السيدة العجوز (علية) التي تأتي بشكل يومي لتشتكي من جارها المحب لأكل السمك مما جعل رائحة الطابق بأكمله لا يتحملها بشري، ليحاول (سليم) التخلص منها مجددًا ويعدها بالتحدث مع جارها بنفسه للعدول عن أكل الأسماك، لكنه طلب الصبر ليومين لا أكثر لانشغاله فيما هو أهم، حتى إنه أفرغ غضبه وصراخه نحو (خالد) الذي يقف بعيدًا مع خطيبته التي قد سلبت عقله وأنسته واجبه الوطني وخدمته للمواطنين، حتى إن الرائد قرر أن ينطلق نحو العاشقَين لتوبيخهما لولا أن (خالد) قد أمر خطيبته (سلوى) بالانصراف على الفور تجنبًا لسيول الغضب من قِبل الرائد الذي لم يسلم من صوت (علية) المزعج وشكواها المستمرة، الأمر الذي جعله يرحل عنها مسرعًا إلى سيارته ليفتح الباب لــ (شريف) ليطلب منه الخروج من السيارة من أجل الذهاب مع (سمر) التي ستصطحبه بسيارتها، فتحرك (شريف) دون التفوه بكلمة واحدة، ليدرك (سليم) أن هذه الرحلة ستنتهي بكارثة عاطفية، فأوقف (شريف) للحظات تجنبًا لأي مشكلة.

سليم:

- أنصت إليَّ جيدًا يا صديقي، هل تعلم ما معنى كلمة مجاملة؟

شريف:

- معنى كلمة مجاملة في المعجم، الاسم مجاملة، المصدر جامل، مثال، سايره في كلامه مجاملة، المعنى هو تأدبًا له لا عن اقتناع أو تــ...

سليم:

- أرجوك توقف، دعني أحاول التحدث بلغتك، هل قمت بعمل تجربة عملية للمجاملة؟

شريف:

- لا.

سليم:

- هل ترى (سمر)؟ هل ترى وجهها؟

شريف:

- الوجه مرهق وهالات سوداء أسفل العين، نتيجة النوم لمدة أربع ساعات فقط.

سليم:

- انسَ الوجه، هل ترى ملابسها؟

شريف:

- ترتدي بنطالًا أزرق وقميصًا أبيض وحذاءً أحمر اللون..

سليم:

- نعم، أستطيع أن أرى ذلك، لكن هل يعجبك ما تلبسه؟

شريف:

- إنها ملابس للفتيات.

سليم:

- أعني هل تعجبك ألوان الملابس التي ترتديها أو حتى تصميماتها؟

شريف:

- أنا أحب ألوان ملابسها.

سليم:

- إذن لما لا تخبرها بأنها تبدو جميلة في تلك الملابس؟ أنا أعلم أنك تراها جميلة الشكل، لما لا تجاملها وتخبرها بأنها تملك وجهًا كالقمر؟

شريف:

- القمر جسم معتم!

سليم:

- فلتخبرها بأنها جميلة فحسب.

شريف:

- هذه المجاملة؟

سليم:

- هي بالفعل.

استعد (شريف) لتطبيق التجربة بشكل عملي، ليبدأ بالتحرك ومن خلفه (سليم) الذي شعر بوقوع الكارثة، ليتوه كلٌّ منهما نحو (سمر) التي تقف أمام سيارتها وقد اشتد حنقها عندما وجدت (شريف) أمامها مرة أخرى، وازدادت غضبًا عندما توقف (شريف) أمامها وظل صامتًا متجولًا بعينيه في كل مكان.

شريف:

- أنتِ ترتدين بنطالًا أزرق، أنا أحب البنطال أزرق، جميل وجهك المرهق.

ليتدخل (سليم) سريعًا لإنقاذ الموقف مؤكدًا أن ما يقصده (شريف) هو الإعجاب بما ترتديه اليوم والقلق على صحتها بسبب ما تعانيه من أرق. لكن على الرغم من أنه ليس المقصد الصحيح لما قيل، فإن (سمر) رحبت بهذا المعنى، ووافقت عليه، وعادت الابتسامة إلى وجهها، وانتهت مهمة (سليم) العاطفية ليتوجه نحو سيارة الشرطة للتحرك مع القوة للتوجه إلى مخبأ (رفعت عبد الستار)، بينما انطلق كلٌّ من (سمر) و(شريف) إلى المستشفى للبحث عن الحلقة المفقودة.

سمر:

- هل تظن أننا سنجد في المستشفى أي علاقة بين الضحايا وذلك المدعو (رفعت)؟

شريف:

- سنجد في المستشفى القاتل.

8

فتح (مرعي) البوابة بعد أن تلقى الأمر من سيادة النقيب من الخارج لدخول سيارات الشرطة إلى المزرعة، ليعود (مصطفى) إلى سيارة (سليم) التي تتجه مباشرة نحو المنزل بينما ركب (مرعي) سيارة الشرطة الثانية، لتتوقف كلتا السيارتين بعد بعض من عشرات الأمتار بساحة المنزل الكبير، حيث خرجت جميع أفراد الشرطة بقيادة (سليم) لاقتحام المنزل والبدء في البحث عن (رفعت عبد الستار) في جميع الأركان، بدءًا من المكتب بالطابق الأرضي الموجود يسار الباب الرئيسي مرورًا بالمطبخ وغرفة الضيوف، ثم البحث بجميع غرف الطابق العلوي، لكن لا أثر له في نهاية الأمر، فحكم الأمين (خالد) قبضته على رقبة (مرعي) وسحبه بقوة ليقف أمام سيادة الرائد (سليم) الذي بدأ الصراخ في وجه (مرعي) للاعتراف بمخبأ (رفعت)، لكن الذعر كان سيده في تلك اللحظة ولم يقوَ على التفوه بكلمة، لكن أخذت عيناه تنظر إلى الباب الخلفي للمنزل، ليلاحظ (سليم) تلك النظرات فيقتفي أثرها، فيخرج وحده من الباب الخلفي حيث وجد (رفعت) يجلس على ركبتيه في هدوء لزراعة بعض بذور الفاكهة، حتى إنه لاحظ اقتراب أحد الدخلاء إلى مزرعته لكنه لم يهتم، وكلما اقترب (سليم) أكثر، ازدادت ابتسامات العجوز.

رفعت:

– إن كنت تبحث عن استشارة قانونية فأنت في المكان الخاطئ، وإن كنت تبحث عن شاهد فإني لم أغادر المنزل منذ سنوات.

سليم:

– في حقيقة الأمر أنت متهم بجريمة الشروع في قتل.

لم يستطع (طلعت) إخماد ضحكاته من تلك الترهات التي تفوه بها (سليم) الذي ازداد سخطه من سخرية العجوز، لكن الرائد أمر (رفعت) بأسلوب لائق للقدوم معه إلى إدارة المباحث لاستكمال التحقيق، الأمر الذي جعل (رفعت) يقف على ساقيه مخرجًا السيجار من جيبه ليبدأ بإشعاله لنشر دخانه الثمين في وجه الضابط المتعجرف ذي النبرة التي توحي ببعض التهديد، مما جعل العجوز صعب المراس، ليبدأ بسؤاله عن الجريمة المتهم بها، وبمجرد معرفته بأسماء الضحايا تعالت ضحكاته دون توقف، مما زاد من حيرة (سليم) لكن ليس لوقت طويل.

رفعت:

- هل يوجد أي دليل على إدانتي؟

سليم:

- هذا ما سنعلمه في أثناء التحقيق.

رفعت:

- لكن الصحف كتبت أن أسباب الوفاة طبيعية، أم أن السلطات العليا أمرت أن أكون كبش الفداء الجديد كما كنت سابقًا؟

سليم:

- ماذا تعني؟

رفعت:

- أعني أنني كم أتمنى أن أكون قاتلهما! لكنك لا تملك أي أدلة ضدي، ولا تملك أمرًا من النيابة بالقبض عليَّ أو حتى اتهامي، لذا آمرك بالرحيل خارج بيتي في الحال.

وفي ظل الجدال الذي استمر وقتًا طويلًا بين (سليم) و(رفعت)، وفي تلك اللحظة تحديدًا، استقبل دكتور (شوقي) كلًّا من (سمر) و(شريف)، وعلى الرغم من إصراره على توفير المساعدات كافة لكلٍّ منهما واستضافتهما في غرفة الاجتماعات الكبيرة للبحث في الملفات القانونية كافة الخاصة بتاريخ تأسيس المستشفى، والتي تصل إلى المائة وثلاثة وسبعين ملفًّا، بالإضافة إلى الملفات المحفوظة على جهاز الحاسب الآلي الذي أُحضِر إلى (شريف) من إدارة الشؤون القانونية، مع وجود (شوقي) معهما بنفسه كمساعد لهما في حالة طلب أي شيء وإن كان مأكولات أو بعض القهوة كما طلبت (سمر)، إلا أنه تعجب من (شريف) الذي انتهى من البحث عما أراد في أقل من ساعة ليطلب الذهاب إلى الأرشيف الخاص بالملفات الطبية للمرضى، لكن لم يستمر التعاون طويلًا، إذ انتهى الترحاب والاستضافة، وبدأ الخوف والقلق يسيطر على (شوقي) أكثر من ذي قبل، ولكن ليس بسبب سره، إنما بسبب الأرشيف، أو بالأخص من (صالح).

سمر:

- ومن هو (صالح)؟

شوقي:

- لا يهم، ولكن من الأفضل الابتعاد عن هذا المخزن، فلا جدوى من البحث داخل هذا المخزن القديم.

لم ينتظر (شريف) للاستماع إلى نصائح (شوقي)، لينطلق بالمستشفى ومن خلفه كلٌّ من (سمر) و(شوقي) الذي ازدادت توسلاته لعدم الدخول إلى الأرشيف، منذ خروجه من غرفة الاجتماعات حتى دخوله إلى المصعد المتجه إلى القبو، لكن بلا أي نتيجة مرضية، إذ دخل (شريف) إلى الأرشيف الذي يحتوي على عشرات الأرفف التي تحمل الآلاف من الملفات، فبدأ بتفقد بعض الملفات الموجودة على بعض الأرفف، بينما كان ينظر (شوقي) في جميع الاتجاهات بنظرات يملؤها الذعر، حتى ظهر فجأة رجل في العقد الخامس من عمره، بوجه يملؤه الغضب وصوت صارخ انطلق في وجه (شوقي) الذي تراجع للخلف بعض الخطوات بسبب الخطأ الجسيم الذي ارتكبه باقتحام مقر العمال الخاص بـ (عم صالح) الذي قام بطرد الدكتور (شوقي) من المكان، وحذره من العودة مرة أخرى وإلا قام (صالح) بإخراج الملفات التي قد تجعل مصير (شوقي) أشد قسوة ممن سبقوه من عائلته مثل (عادل)، فخرج (شوقي) على الفور مسرعًا من الأرشيف دون نقاش تاركًا الضيوف أمام بركان الغضب الذي أخذ يصرخ بوجه الحاضرين دون توقف، الأمر الذي جعل (شريف) يرتدي سماعات الأذن ليستمع إلى بعض الموسيقى، تاركًا (سمر) تتلقى كل الغضب من مالك هذا المكان كما يبدو، وعلى الرغم من تحذيراتها العنيفة مع ذكر اسم والدها الذي يرتعد منه علية القوم، فإنه لم يهتم، بل زاده غضبًا، فلا سلطان ولا نفوذ لأحد داخل هذا القبو إلا (عم صالح)، فأدركت (سمر) أنها تتحدث مع شخص لا يملك أي نوع من الحكمة أو حتى العقل وربما العجَز قد أذهب عقله، وتأكدت من جنونه عندما قام بطردها من القبو، الأمر الذي زاد من سخطها وأخرجت هاتفها في أثناء خروجها من الأرشيف، ربما للتحدث إلى القوات الخاصة لاقتحام هذا المكان وأخذه إلى المعتقل لإهانة ابنة (عمرو مهران).

على الرغم من التهديدات، وأسماء الوزراء الذين ذُكروا، فإن الأمر لم يشعِر (عم صالح) إلا بترهات الشباب، إنما استعاد بعض الهدوء والصمت بوجه عابث ناظرًا إلى ذلك الفتى ذي الابتسامة التي لا سبب لها وبخاصة بعد هذا العراك، فاقترب (صابر) منه ليرى وجهه بوضوح، وفي تلك اللحظة تحديدًا خلع (شريف) سماعاته ليستكمل النظر إلى تلك الملفات الموجودة على الأرفف منذ سنوات.

صالح:

- ماذا تريد يا فتى؟

شريف:

- دليل لا يوجد في تلك الملفات.

9

ما زال الجدال مستمرًّا، لكن الهزيمة كانت من نصيب (سليم) حتى الوقت الراهن، فعلى الرغم من احترامه للقانون وتنفيذه بأمانة متفانية، فإن تسرعه أدى إلى خرق بعض القوانين، الأمر الذي جعله في الجانب الضعيف من الحلبة وبخاصة أمام رجل من كبار رجال القانون، الأمر الذي جعله يتراجع قليلًا عن غروره، لتبدأ المواجهة من جديد، ولكن ليس بين ضابط ومتهم، إنما بين ضابط قد أتى من أجل بعض الاستشارات من إحدى ركائز القانون في البلد، الأمر الذي جعل (رفعت) يستقبل الضابط بأسلوب مختلف، لكن يشوبه بعض الحدة، لذا كانت أولى شروط (رفعت) هو خروج جميع أفراد الشرطة من منزله، ودون أي تردد أمر سيادة الرائد بتراجع الأفراد والانتظار خارج المنزل لحين الانتهاء من الزيارة غير الرسمية، والتي بدأت بالسؤال الذي أنهى الزيارة سريعًا، ألا وهو سبب اعتزال الحياة طوال تلك السنوات، إذ عدَّ (رفعت) هذا السؤال تدخلًا واضحًا في حياته الشخصية، وعادت حالة الغضب أكثر من ذي قبل عندما طرح (سليم) سؤاله التالي:

سليم:

– هل عزلتك بسبب وفاة ولدك؟

رفعت:

– هذا ليس من شأنك، الآن اغرب عن وجهي.

سليم:

– أرجوك يا سيدي، فلتدرك أن هناك اثنين قد أُعلِنت وفاتهما بعد أن تلقيا مكالمة لملاقاة مجهول في مكتبك القديم، أرجو أن تتعاون معنا لحل هذا اللغز، فإن ثبتت علاقتك بإحدى الضحايا ستصبح الزيارة رسمية.

رفعت:

– إذن يسعدني إخبارك بأنني كنت المحامي الخاص بالسيد (عبد الرحمن مكاوي)، وقد أنهيت خدمتي وحياتي المهنية بأكملها حتى لا أراه أو أرى أمثاله من الأفاعي مجددًا، وأنت لا تدرك مدى سعادتي فور سماعي بخبر وفاته وازداد فرحي بموت الأفعى الثانية، لكن الشماتة ليست بجريمة، كما أنني لا أحمل مفاتيح المكتب، فقد أعطيتها إلى (مرعي) ساعي المكتب، وإن كان لدي أي دليل على أنها جرائم قتل كما

تدَّعي، فلن أساعدك للوصول إلى من حقق العدالة التي لن يحققها القانون، ربما قد تأتي العدالة لتقتص مني عما ارتكبته بالماضي.

سليم:

- أرجوك يا سيدي فلتخبرني بما تعلمه.

رفعت:

- أعلم أن ولدي قد دفع ثمن أفعالي الشائنة، انتهت الزيارة.

سليم:

- إذن أعتقد أنني يجب أن أذهب للتحقيق مع (مرعي) حامل مفاتيح مكتبك.

على الرغم من أن الزيارة لم تؤتِ ثمارها المرجوة، وعلى الرغم من الفشل في إخراج (رفعت) من مخبئه نتيجة للإجراءات غير القانونية، فإن الأمل ظل مسيطرًا على قلب (سليم) وبخاصة أنه وجد من بين السطور دلائل جديدة وخيوطًا للوصول إلى (عزرائيل) سواء كان قاتلًا أم لا، حيث تأكد أن رحلة البحث تبدأ منذ لحظة وفاة (إسماعيل رفعت عبد الستار)، لذلك وجد أن المناسب هو التحقيق بين صفحات التاريخ، وما زاده شعورًا بالسعادة هو الخبر الذي ساعده للوصول إلى مبتغاه، إذ إن المدعو (مرعي) كان الساعي الخاص بمكتب (رفعت)، وهو من يملك المفاتيح حاليًّا، كما أنه من قام بإفراغ محتويات المكتب بنفسه سواء من أثاث أو ملفات، الأمر الذي جعل (سليم) بأمر القوة يأخذ (مرعي) معهم ويعود إلى الإدارة لاستضافته والتحقيق معه حتى يحصل (سليم) على مبتغاه.

على الجانب الآخر، ظل الصمت السائد في القبو، حيث فضل (صالح) التدخين مع قدح من القهوة في أثناء مشاهدته لهذا الفتى الهادئ الذي جلس يتناول شطيرته مع علبة العصير في سكينة، فقد شعر (صالح) بناءً على خبرات السنين ودخول الآلاف إلى القبو لأهداف وأسباب مختلفة، أن سبب دخول (شريف) إلى القبو كان مختلفًا، بل وازداد الفضول لدى العجوز لمعرفة أمر هذا الفتى، وقد تأهب العجوز فور انتهاء (شريف) من وجبته الاعتيادية، حتى بدأ (صالح) الحديث.

صالح:

- أنت لست ضابطًا أو صاحب سلطة، ما الذي أتى بك إلى هنا؟

شريف:

- أنت تخفي أسرارًا، أريد أن أعرف بعضهم.

صالح:

- إذن أنت مثلهم، يأتي الكثير لإخفاء أسرارهم في القبو، ثم يأتي غيرهم للنبش في تلك الأسرار، لكن ذلك ليس بالأمر اليسير، فإنني حارس القبو.

شريف:

- أبحث عن قاتل (أسماء راشد) المدعو (عزرائيل).

صالح:

- إذن أنت تؤمن بروايات الإعلام عن الجان والعفاريت، لكنني لا أملك مثل هذه الأسرار.

شريف:

- أنت تعلم العلاقة بين (عبد الرحمن مكاوي) و(أسماء راشد)، أنت تعرف (رفعت عبد الستار).

صالح:

- إنها رواية قديمة وقد قام أبطالها بدفن أسرارها في هذا القبو.

شريف:

- أصحابها ماتوا.

صالح:

- يا لك من ساذج! هل تظن أن (أسماء) أو حتى (عبد الرحمن) هما أبطال الرواية؟ إنه ملف قديم قد مضى عليه أكثر من خمسة عشر عامًا وقد طُويت صفحاته.

شريف:

- القاتل داخل الملف القديم.

للمرة الأولى يتعجب (شريف) من عم (صالح) الذي أخذ يضحك دون أي سبب واضح، حتى إن العجوز اعترف أنه لم يضحك في هذا القبو منذ سنوات، إذ إنه لم يظن أن الحقيقة قد تُعلَن أخيرًا على يد من أخفاها، لكن صدر العجوز تملؤه الكثير من الأسرار التي يتمنى البوح بها حتى ولو لنفسه، فلم يتبقَ في العمر إلا القليل، لذا قرر البوح ببعض الأسرار إلى (شريف) فقط، حيث إن معرفته بالأمر لن تضر أصحاب الأمر بشيء، وما يهتم (شريف) إلا بقضية واحدة صغيرة، وهي البحث بين السطور للعثور على (عزرائيل).

صالح:

- بدأ الأمر منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، قبل إنشاء المستشفى، عندما كان (عبد الرحمن مكاوي) مصابًا بالفشل الكلوي، وكان الأمر يستلزم عملية زراعة كلى، وكان من الصعب على الدكتور (أكرم) العثور على متبرع، أما (أسماء) فكانت تطمح دائمًا إلى المال، وكانت تعلم الكثير عن شركات (عبد الرحمن مكاوي) وثروته التي أتى بها من الخارج بطرق غير شرعية، لذا عقدت الاتفاق سرًّا مع (عبد الرحمن) في أخذ الملايين، إذ إنها لم تكن تبحث عن متبرع، لكنها كانت تبحث عن الجسد المناسب لسرقة الكلية، وبالفعل وجدت التطابق الكامل مع أحد المرضى، وقامت بالفعل بعمل حيلة لسرقة المريض وزرع الكلى، لكن لم ينتهِ الأمر بهذه السهولة، فقد توفي المتبرع بعد فترة، أو بمعنى أصح المسروق، حتى (صالح) ظل متذكرًا اسمه (أحمد عبد الله فراج)، وقد اكتشف أهل المتوفي حقيقة الأمر، بعد أن قامت إحدى المرضات بإفشاء السر، لذا لجأت الدكتورة (أسماء) إلى (عبد الرحمن) لحل هذه الأزمة بالأساليب القانونية وغير القانونية، أما من تولى إنهاء هذه الأزمة بالشكل القانوني هو (رفعت عبد الستار)، الذي قام بتزوير عقد يؤكد أن المتبرع قد قام بالتبرع بملء إرادته، وأنهى الأمر بتنازل الأهل عن القضية مقابل مئات الآلاف، وتلك كانت بداية التعاون بين (عبد الرحمن) و(أسماء) لإنشاء مستشفى الشرق الأوسط والتعاون مع بعض المنظمات خارج البلاد لتجارة الأعضاء وعمل بعض التجارب غير القانونية، بالإضافة إلى شراكة (عبد الرحمن مكاوي) السرية بشراء أكبر عدد من أسهم المستشفى لعمل بعض عمليات غسيل الأموال بشكل قانوني، فكان أصحاب النفوذ من الدول الخارجية هم السبب الرئيسي في انطلاق مستشفى الشرق الأوسط وبخاصة بعد التعاون القانوني المشترك مع بعض المستشفيات في إنجلترا وألمانيا ليصبح من أكبر المستشفيات في المنطقة العربية، واستمر في عمل أبحاث وتجارب بشرية، وبخاصة تجربة جميع عقاقير الكلى من شركات عالمية تسعى إلى تجربتها على البشر مقابل مبالغ ضخمة، وقد فقد المستشفى عشرات المرضى خلال تلك التجارب، لذلك كانت (أسماء) تقوم بتعيين بعض الأطباء والمشرفين لاستخدامهم كبش فداء في حالة كشف المستور ووصول الأمر إلى القضاء.

شريف:

- (رفعت) يتفاوض مع أهالي الموتى والأطباء لتحمل المسؤولية، تظل سمعة المستشفى بيضاء.

صالح:

- بالطبع، لكنه أصبح من الضحايا في نهاية الأمر.

10

"لقد كان مكتب المستشار (رفعت عبد الستار) ذا سيط قوي، كان السيد (رفعت) يستقبل عشرات القضايا يوميًّا، وكان يمثل العديد من رجال الأعمال ورجال الدولة، لم أعلم الكثير عن القضايا الخاصة بالمكتب، لكنها كانت قضايا على قدر كبير من الأهمية، فكان يوكل المحامين أتباعه لتلك القضايا، أما (رفعت) فكان يتولى قضايا سرية، لم يكن أحد يعلم بها، لكنه لا يستأمن أحدًا من أتباعه لتولي تلك القضايا، حتى إنه يستقبل عملاءه ذوي المستوى الرفيع في مكتبه ليلًا بعد مواعيد العمل وانصراف الجميع، في السنوات الأخيرة كان يعاني ابنه الوحيد (إسماعيل) أمراضًا في الكلى، وكان يذهب إلى المستشفى بشكل دوري من أجل تلقي العلاج والغسيل الكلوي، لكنه شُفي تمامًا، أو هذا ما ظنه الجميع".

لم يكن (مرعي) على دراية تامة بطبيعة القضايا الخاصة بالمكتب، ولم يكن ذكاؤه المحدود يؤهله لمعرفة التفاصيل الطبية والتشخيص الطبي لحالة (إسماعيل)، كما أنه لا يعلم تفاصيل ما حدث بعد تلقي العلاج، لذا لم تكن الأدلة واضحة نصب أعين (سليم)، لكنه يعرف الشخص المناسب لدمج الخيوط مع بعضها، لذلك أطلق سراح (مرعي) وانطلق مسرعًا إلى صديقه الجالس مع العجوز (صالح)، حارس القبو الذي يملك جميع الأدلة والتفاصيل، حيث ظل يسترسل في روايته بالأدلة، ليحضر الملف الخاص بالمريض (إسماعيل رفعت عبد الستار) الذي أصيب بالفشل الكلوي، مع شرح تفصيل لجميع العقاقير التي جُرِّبت عليه في جميع مراحل المرض، ومواعيد الغسيل الكلوي، وأسماء الأطباء المشرفين على الحالة، حتى تاريخ الخروج من المستشفى بعد الشفاء التام وتاريخ الدخول مرة أخرى بعد الإصابة بمرض السرطان بسبب تلك التجارب، وأخيرًا تاريخ الوفاة.

صالح:

- لكن هذه الحالة كانت مختلفة عمن سبقها، حيث كان (رفعت) على علم بأسرار اللعبة.

ليستكمل (صالح) روايته عن يوم العراك الذي شهده جميع من بالمستشفى بين (رفعت) و(أسماء)، وقد أقسم على فضح المستور انتقامًا لابنه، وإبلاغ السلطات عن الأعمال غير الشرعية، وكشف الوجه الحقيقي لـ (أسماء) أمام الرأي العام.

صالح:

- لكنها كانت مجرد كلمات، وعلى الرغم من نفوذ (رفعت) وعلاقاته بأصحاب النفوذ، فإنه كان يواجه عصابات دولية وأمراء وشخصيات دبلوماسية، لذلك أصرت السلطات على إنهاء الأمر سرًّا تجنبًا لأي أزمات دولية، وتم تنفيذ النظام المتبَع وإلصاق التهمة بالطبيب المعالِج الذي كان يقوم بعمل التجارب من دون علم إدارة المستشفى، أما بالنسبة إلى (رفعت)، فقد أُصدِر الأمر من القيادات بغلق ملف قضية وفاة ابنه، وعادت الأمور كما كانت دون وجود (رفعت) الذي اعتزل الحياة واختفى عن الجميع.

شعر (صالح) ببعض الراحة بعد أن أزاح أحد آلاف الأسرار من صدره، فوجد العجوز أنها لحظة مهمة تستلزم قدحًا من القهوة، لذلك أخذ (صالح) يقوم بتحضير قهوته في أثناء تدخين سيجارته، ناظرًا إلى (شريف) الذي جلس يقرأ كل حرف داخل الملف السري في تركيز شديد، لكن لم يستمر طويلًا بسبب الأسئلة التي تشغل بال (صالح).

صالح:

- لقد أجبت عما تريد، الآن جاء دوري، ما الذي تفعله هنا؟

استمرت العينان تطاردان الكلمات بالملف الذي يحمله، بينما أجاب اللسان عن سؤال العجوز، حيث وضح (شريف) أنه جاء يبحث على دليل من أجل العثور على القاتل، لكن أخطأ (شريف) للمرة الأولى في الإجابة عن السؤال، إذ وضح (صالح) أنه يتساءل عن سبب تعاون (شريف) مع الشرطة، وقد زاد التوضيح ببعض الملاحظات الغليظة، إذ أطلق العجوز لسانه البغيض وأعاد السؤال بأسلوب جارح.

صالح:

- أستطيع أن أرى إصابتك بالتوحد، ولا أتعجب من طلب الشرطة لمساعدتك، لكن لِما تساعدهم؟

شريف:

- (سليم) صديقي منذ القضية الأولى، (سمر) تحبني منذ القضية الأولى.

صالح:

- إذن أنت تساعد (سليم) من أجل أن يصبح صديقًا لك، وهل دعاك الصديق في منزله من قبل؟

شريف:

- لا.

صالح:

- هل قامت (سمر) بإخبار أحد بحبها لك؟ أم أنها تخجل من ذلك؟ أم أنها تشفق عليك؟

شريف:

- لا أعلم.

صالح:

- أنصت إليَّ يا بني، لقد رحبت بك في مملكتي، لمجرد شعور إنساني بالتعاطف مع حالتك، كما أن قلبك مختلف عن أصحاب القلوب العفنة، أنت ذكي لكن ليس بالقدر الكافي، لا تجعل الناس تستغل ذكاءك لأغراضهم، ولا تخلط بين الحب والشفقة.

عاد الصمت من جديد، وأخذ (شريف) يفكر في كلمات العجوز، لكن لم يستمر الأمر طويلًا، إذ اقتحم (سليم) باب الأرشيف ومن خلفه (سمر)، حيث تقدم الرائد نحو العجوز مخاطبًا إياه بنبرة غليظة، واتهمه الرائد بعرقلة سير التحقيق عند طرده لـ (سمر) من الأرشيف، مما يجعل العجوز مخالفًا للقانون ووجب القبض عليه.

أثارت التهديدات غضب العجوز الذي وجد كلام سيادة الرائد مجرد ترهات، وأوضح أنه لا يحق لأي شخص دخول الأرشيف والعبث بأسراره دون إذن من النيابة، وازداد غضب العجوز وسخر من الضابط الذي أرسل من ينوب عنه لتولي مهمة التحقيق بدلًا عنه.

وفي ظل الجدال وتعارك الألسنة بين الضابط والعجوز، نهض (شريف) من على مقعده ووضع حقيبته على كتفيه، ثم شكر (صالح) على الضيافة والمعلومات الوفيرة، وفي المقابل تحول غضب العجوز إلى ابتسامة ليعطي إلى (شريف) دعوة لمعاودة الزيارة في أي وقت، ثم عاد (صالح) سريعًا إلى شجاره مع (سليم)، لكن لم يستمر الأمر طويلًا، إذ قام (سليم) و(سمر) باللحاق بـ (شريف) الذي هم بالخروج من المستشفى والانتظار بجانب سيارة (سليم) في هدوئه المعتاد الذي سبب لـ (سمر) حالة من الغضب.

سمر:

- كان من المفترض الدفاع عني والعراك مع العجوز، كان عليك الشجار من أجلي والاهتمام بأمري.

شريف:

- لماذا؟

سمر:

- لأن هذا ما يفعله الأصدقاء.

شريف:

- هذا ما يفعله الأحباء، والأحباء يظلون معًا إلى الأبد، إنها الرواية المعتادة.

سمر:

- ماذا تعني؟

شريف:

- نحن لن نظل معًا إلى الأبد، أنتِ لم تخبري أحدًا بهذا الحب، أنتِ تخجلين من هذا.

سمر:

- الأمر ليس كذلك.

شريف:

- ليس حبًّا، مجرد شفقة، أنا لا أريد شفقة.

انهمرت الدموع بعد انكسار القلب، ولم تتوقف عن البكاء على الرغم من تدخل (سليم) المعتاد لإنهاء هذا الخلاف، لكن لم يكن الشجار المعتاد، ولم يكن (شريف) المعتاد بالنسبة للجميع، بل كان شخصًا ضاق ذرعًا ممن حوله، فانسحبت (سمر) من هذا الشجار وعادت إلى سيارتها باكية دون التفوه بشيء إلا جملة واحدة...

سمر:

- كنت أظن أنك أذكى شخص وجدته، لكنك أشد حماقة من الجميع!

ظلت السيارة في مكانها وأخذ (سليم) ينظر إلى (شريف) في تعجب لما بدر منه نحو (سمر)، وفي نفس الوقت يشعر بخطب ما في قلب (شريف)، مما دفعه للسؤال عن حال صديقه للاطمئنان عليه، لكنه لم يجد الإجابة المرجوة، بل وجد ما هو أعجب!

شريف:

- لم تدعُني إلى بيتك من قبل، نحن أصدقاء حقًّا أم أنا مجرد مساعد في قضاياك؟

سليم:

- أخبرني أولًا؛ هل قمتَ بحل القضية أو استطعت معرفة المدعو (عزرائيل)؟

شريف:

- لا.

سليم:

- إذن أنا لا أحتاج إليك معي، ولا أجد سببًا لوجودك في القضية.

شريف:

- نعم.

سليم:

- لكنني أتيت إلى هنا من أجلك، على الرغم من اعتراضي على قدومك إلى هنا، هل تعلم لما أستمع إليك؟ لأننا أصدقاء، والصديق هو من يؤمن برأي صديقه ويشجعه دائمًا، ويقف دائمًا بجانب صديقه في وقت المحنة، ويتمسك بالصداقة، ويكشف الغمامة من على وجه صديقه وينير له الطريق حتى لا يقع فريسة لأفكار قد تنهي الصداقة، هل فهمت مقصدي؟

شريف:

- نعم، نحن أصدقاء، لكن هل (سمر) تحبني؟

سليم:

- لا أعلم، لكن ما أعلمه أن الحب طريق طويل يجب أن تمضي قدمًا حتى تتأكد من أنه الطريق الصحيح.

شريف:

- غير منطقي، يجب دراسة كل خطوة.

سليم:

- ربما أنت على حق، وربما يجب علينا التحرك من هنا، هل تود تناول الغداء معي؟

شريف:

- في منزلك.

سليم:

- فلنجعل منزلي لاحقًا، يجب أن أخبرك بالمستجدات وما علمته عن (رفعت)، أين تريد الذهاب الآن؟

شريف:

- مكتبك، اقتربنا من (عزرائيل).

11

مرت الساعات، وحل الليل، وظل (شريف) يقوم بإلصاق بعض القصاصات الحاملة للأشخاص كافة المتعلقة بقضية (عزرائيل) على الحائط في مكتب (سليم)، حتى إنه وضع اسم (صادق) في قائمة المشتبه بهم، وذلك لربط الأدلة والمعلومات كافة التي تم جمعها من كلا الطرفين بعضها ببعض، وطبقًا لما توصل إليه كلٌّ من (سليم) و(شريف)، أن كل الأدلة تؤدي إلى نتيجة واحدة وشخص واحد، ألا وهو (رفعت عبد الستار)، الذي يملك دافعًا قويًّا للانتقام من الضحايا، لذلك استمر (سليم) في محادثات عبر الهاتف مع بعض الأصدقاء من وكلاء النيابة من أجل الحصول على إذن من النيابة العامة بالقبض على (رفعت عبد الستار) بتهمة التهديد والشروع في القتل، مستعينًا بأقوى الأدلة، ألا وهو وجود الضحايا في مكتب (رفعت) القديم قبل وفاتهما بيوم واحد.

لكن على الرغم من كل تلك الدلائل والحقائق، فإن (شريف) ظل معترضًا على تلك النتيجة، وبخاصة في عدم وجود دليل قوي على أنها جريمة قتل بالفعل، وبخاصة بعد أن أكد تقرير الطب الشرعي أن الوفاة طبيعية، لكن كان (سليم) يعتمد على حدسه الذي يؤكد له أنها جريمة قتل وليس مجرد تنبؤات، وأكد لـ (شريف) أنه يستطيع استخراج الحقيقة من خلال التحقيق، أو على الأقل هذا ما يأمله. وازداد حماس سيادة الرائد فأمر (مصطفى) بإحضار إذن النيابة في الصباح الباكر وملاقاته أمام مزرعة (رفعت) لسرعة التنفيذ قبل اختفائه مجددًا.

بانتهاء كل التجهيزات اللازمة لاستكمال التحقيق في صباح الغد، يدخل الساعي إلى المكتب ليقدم إلى سيادة الرائد قهوته الداكنة التي تعطيه طاقة لاستكمال العمل من رائحتها فقط، وأخذ يستمتع بتذوقها مع سيجارته، رافعًا ساقيه على المكتب ناظرًا إلى الأعلى وقد أصبح في منطقة السلام والسكينة خاصته، واستمتع بهذا الهدوء والصمت لدقائق قد تساعده لاستكمال أعماله، فنظر (سليم) إلى (شريف) الذي لم تفارق عيناه ذلك الحائط الممتلئ بالأدلة.

سليم:

- هل تظن أننا في الاتجاه الصحيح؟

شريف:

- بالطبع لا، نحن نبتعد، لكن النتائج تقول إننا نقترب، الأمر يبدو سهلًا.

سليم:

- أرجو أن تحاول أن تشرح بشكل أبسط من ذلك.

في تلك اللحظة نظر (شريف) إلى الساعة ثم وضع ما تبقى من قصاصات على المنضدة ليتجه إلى المقعد المقابل لمكتب (سليم) الذي اعتدل في جلسته للانتباه للشرح القادم نحوه، لكن أصابه الإحباط سريعًا عندما وجد (شريف) يخرِج من حقيبته العلبة الخاصة بوجبة العشاء، ليبدأ تناول شطائره في صمت، لكن ليس لوقت طويل، إذ بدأ الحديث في أثناء تناول وجبته، الأمر الذي أثار تعجب (سليم) من اختلاف عادات صديقه.

شريف:

- (رفعت) المشتبه الأول، يملك دافع الانتقام.

سليم:

- بالتأكيد، لا تنسَ أن الفدية دُفِعت في مكتبه القديم.

شريف:

- هذا أمر يستبعد (رفعت) من دائرة الاشتباه.

سليم:

- أنا حقًّا لا أفهم ما تعنيه!

شريف:

- دافع الجريمة انتقام، لماذا يوجد فدية؟

سليم:

- يبدو الأمر مريبًا، لكن ربما يحتاج إلى المال.

شريف:

- (رفعت عبد الستار) لا يحتاج إلى المال؛ له ثروة كبيرة، نحن لا نعلم كيف قتل (عزرائيل) ضحاياه، جريمة صعبة، لكن وصلنا إلى المشتبه الأول بسهولة، يوجد خطب ما في هذا الأمر.

سليم:

- هل تظن أنه يوجد شخص يريد الإيقاع بـ (رفعت)؟

شريف:

- نعم، شخص يريد الانتقام من الثلاثة. لا أعلم سبب الفدية.

سليم:

- لا يوجد علاقة بين الثلاثة سوى المستشفى، ربما القاتل من داخل المستشفى، ربما (شوقي).

شريف:

- يجب العودة إلى المستشفى غدًا.

نهض (سليم) من مقعده ليجلس في المقعد المقابل لـ (شريف)، حيث رفض (سليم) العودة إلى المستشفى مرة أخرى إلا بعد التحقيق مع (رفعت)، فإن تأكدت براءة المشتبه به، فلا يوجد سوى البحث عن دلائل أخرى، أما في الوقت الحالي لا يوجد داعٍ للبحث في طريق لا قيمة له. واستخدم (سليم) موهبته في الإقناع، إذ قام بتذكير (شريف) أنه وافق على ذهابه إلى المستشفى في الصباح، لذلك طلب سيادة الرائد من (شريف) تأييده هذه المرة والموافقة على وجهة نظره، وما هي سوى لحظات من الصمت حتى وافق (شريف) بعدها على اقتراح (سليم)، معللًا أنه من واجب الصديق تأييد أفكار صديقه وتشجيعه، الأمر الذي جعل (سليم) يتساءل عما يدور في خاطر صديقه.

سليم:

- إذن أنت موافق على أن تأتي معي غدًا إلى مزرعة (رفعت)؟

شريف:

- نعم.

سليم:

- أنت موافق لمجرد تأييدي كصديق؟

شريف:

- نعم.

سليم:

- لكنك تظن أنني مخطئ، ونسير في الاتجاه الخاطئ؟

شريف:

- نعم.

توقف (سليم) عن استكمال الحديث خشية أن يصاب بالإحباط من الحقائق الصادمة التي يحملها (شريف)، وفضل إنهاء العمل والعودة إلى المنزل، لكن كان واجبه اليومي طوال فترة التحقيق أن يتأكد من وصول (شريف) إلى منزله سالمًا.

توقفت السيارة أمام منزل (شريف)، وتمنى (سليم) أن يخرج (شريف) سريعًا من السيارة، حيث انتهى مفعول القهوة وقد غلبه النعاس، لكنه فوجئ بتجمد (شريف) في مقعده دون حديث للحظات، فأدرك (سليم) أن صديقه يريد السؤال أو النصيحة، وأدرك على الفور أنها استشارة عاطفية، لكنه فضل الصمت منتظرًا الكلمة الأولى من (شريف) الذي بدأ حديثه بالسؤال عما بدر منه أمام المستشفى مع (سمر)، فإنه لا يعلم إن كان هذا هو الصواب، أم أخطأ في حق (سمر)، فأجاب (سليم) بالسؤال الذي يجيب عن جميع التساؤلات.

سليم:

- هل تحب (سمر) أم لا؟

شريف:

- الحب ليس مجرد كلمة، الحب مستقبل يجب التأسيس له حتى لا ينتهي، لا أرى مستقبلًا مع (سمر).

سليم:

- إنها فتاة طيبة القلب على الرغم من جنونها.

شريف:

- لا أستطيع العيش مع أحد، لا أحد يستطيع العيش معي، (سمر) لن تخبر أحدًا بأنها تحب (شريف)، مريض التوحد، إنها الحقيقة.

اعتاد (سليم) الصمت أمام ما يخبئه عقل (شريف)، لكنها المرة الأولى التي يصمت ولا يجيب أمام ما يحمله قلب صديقه، لم يعلم ما هي الكذبة المناسبة ليخبرها إلى صديقه، لا يعلم إن كان ما يقوله هو الصحيح أم لا، لا يعلم إن كان المجتمع تقبَّله كما هو، أم ما زالت العنصرية في قلوب الجميع، لا يعلم إن كان (شريف) قادرًا على بناء أسرة أم لا، لا يعلم في تلك اللحظة إن كان حزينًا على وفاة ابنه المصاب بالتوحد وهو صغير أم سعيدًا من الانتهاء من مشكلاته، لم يكن يعلم سبب دمعته التي لم يستطع السيطرة عليها، لكنه فضل الصمت، فخرج (شريف) من السيارة ليتوجه إلى شقته، بينما ظل (سليم) في مكانه لا يتحرك بالسيارة من الحزن الذي صاحبه التعب، فاستلقى على المقعد الخلفي حتى غلبه النعاس، فوجد (سليم) نفسه في شقته ووجد

ابنه الواقف بالشرفة ناظرًا إلى السماء، فجرى (سليم) نحوه للحاق به، لكن الابن وقع من الأعلى، ليقفز (سليم) خلفه ليحاول إنقاذه، لكنه هبط على الأرض دون أذى بينما وجد ابنه بجانبه وقد فارق الحياة والدماء تسيل منه.

فتح (سليم) عينيه وهما تذرفان الدموع، والشمس قد لامست وجهه، ليستيقظ أخيرًا فيجد (شريف) جالسًا في مقعده بالأمام واضعًا سماعات الأذن مستمعًا لبعض الموسيقى لحين موعد الانطلاق، ليخرج (شريف) من السيارة ليتوجه إلى المقهى في الجهة المقابلة، لغسل وجهه وشراء القهوة الصباحية، وقد استغرق الأمر بضع دقائق حتى عاد (سليم) إلى سيارته وصديقه الذي ظل صامتًا حتى بعد انطلاق السيارة، لذا فضل (سليم) التزام الصمت تجنبًا لما قيل ليلة أمس.

ازداد الحماس والأمل في قلب (سليم) مع اقترابه من بوابة المزرعة، لكن سرعان ما تحول الأمل إلى غضب، حيث وجد سيارات الشرطة بداخل المزرعة وقد عصى (مصطفى) أمر (سليم) بالانتظار في الخارج، ليعبر (سليم) بوابة المزرعة، ويقترب من ساحة المنزل ليجد (مصطفى) أمامه منتظرًا، ليخرج (سليم) من السيارة متوجهًا إلى زميله، وفي تلك اللحظة زفَّ (مصطفى) له الخبر الذي قضى على الأمل.

مصطفى:

- المتهم أصبح قتيلًا.

12

دخل (سليم) إلى المنزل ومن خلفه (شريف) في هدوء ظنًّا منهما أنها جريمة مشابهة لما سبقها، لكن بدخول غرفة المكتب الخاصة بالعجوز أُصيب (سليم) بالمفاجأة عندما رأى (رفعت) جالسًا على مقعده الكبير والدماء مسالة من جسده من إثر ثلاث طعنات في صدره فأصبح الضحية محاطًا ببركة من دمائه.

اقترب (سليم) في حذر من الضحية دون لمس أي شيء حتى وصول فريق البحث الجنائي، فلاحظ سيادة الرائد عدم وجود سلاح الجريمة في المكان، لكنها تبدو طعنات سكين، لذا أمر (سليم) معاونيه بالبحث عن سلاح الجريمة في أنحاء المنزل، بينما طلب من (مصطفى) إحضار (مرعي) للتحقيق معه على الفور، وعلى الرغم من إسراع (مصطفى) لتنفيذ الأمر، فإنه وجد تباطؤًا من ذي الوجه الهائم، الأمين (خالد)، في تنفيذ الأمر والبحث عن السكين، فتعالت صرخات (سليم) في وجه (خالد) الذي قد أُصيب بالفزع من سخط رئيسه، فاستفاق من غفلته، لينطلق (خالد) مسرعًا مع رفقائه للبحث عن السكين في أنحاء المنزل في حرص شديد.

لم يتبقَ بغرفة المكتب سوى الضحية وسيادة الرائد و(شريف) الذي ظل ينظر إلى باب المكتب، ليراقب الأمين (خالد) ومن معه في أثناء عملية التفتيش، الأمر الذي جعل (شريف) يتعجب من تلك الجريمة.

سليم:

- لَمَا العجب؟ هل تظن أن الجريمة ليست لها علاقة بـ (عزرائيل)؟

شريف:

- المكتب منظم، لا يوجد أي أثر للمقاومة، (رفعت) كان مرحِّبًا بموته، (خالد) متوتر.

يعود (مصطفى) إلى المكتب ومن خلفه (مرعي) الذي لم يتوقف عن البكاء، لذا توقف التحقيق لوقت ليس بقصير حتى يتخلص (مرعي) من نوبة البكاء التي لا تتوقف، وفي أثناء ذلك وصل فريق البحث الجنائي إلى المنزل للبدء في رفع البصمات والبدء في تتبع أي أثر للقاتل وأخذ الصور اللازمة للمكان بأكمله، وبعد رفع الضحية لوضعها في سيارة الإسعاف، هدأ (مرعي) قليلًا ليروي ما حدث.

مرعي:

– في الحادية عشرة ليلًا سمعت من يطرق بوابة المزرعة، وذهبت لأرى الطارق، فإذا بفتاة تبدو في الثلاثين من عمرها، لم أرَ ملامحها بوضوح بسبب الظلام، لكن أتذكر شعرها البني الذي كان مغطى بوشاح أسود اللون، وما أتذكره صوتها الحزين الذي كان يصر على اللقاء بالسيد (رفعت)، فاتصلتُ بسيدي بالهاتف لأخبره بشأن الزائرة، فأمر بإدخالها ونفذت بلا تردد، وأدخلتها إلى المنزل ورافقتها إلى داخل المكتب، حيث كان السيد (رفعت) جالسًا منتظرًا الضيفة الغريبة والتي اقتربت منه وطلبت التحدث على انفراد، وبالفعل قد لبى السيد (رفعت) طلبها وأمرني بتحضير الشاي الساخن لهما، وعلى الرغم من شعوري بشيء مريب في أمر الزائرة، فإنني لم أملك سوى إطاعة أمر سيدي، وذهبت لعدة دقائق لتجهيز الشاي وعند العودة والدخول لاحظت أنها تخفي وجهها مني، لكن ما أثار العجب هو وجه (رفعت) الذي بدا عليه الحزن وعيناه اللتان كادتا أن تدمعا، وأمر أن أعود إلى غرفتي وأخلد إلى النوم، إذ إن الضيفة ستمكث الليلة بالمنزل، وفي تلك اللحظة رفضتُ، لكنه صرخ في وجهي وأمرني مرة أخرى بالخروج من المنزل، ولن أنسى عندما وضع يده على كتفي ونظر إليَّ نظرة الوداع، وأمرني للمرة الأخيرة بصوت حزين أن أذهب للخلود إلى النوم، عدت إلى غرفتي ولكنني راقبت المنزل من شباك غرفتي وراقبت شباك المكتب الذي ظل مضاءً طوال الليل، لكن غلبني النعاس في نهاية الأمر، وعند استيقاظي في الصباح وجدتُ بوابة المزرعة مفتوحة بنسخة المفاتيح الخاصة بالسيد (رفعت)، فانطلقت إلى الداخل مسرعًا ووجدته سابحًا في دمائه، ولا أثر لتلك الملعونة القاتلة، وفي النهاية أبلغتُ السيد (مصطفى) بالهاتف.

سليم:

– ألم تتحقق من هويتها أو تسأل عن اسمها؟

مرعي:

– كان هذا الأمر بالتحديد في غاية الغرابة.

مصطفى:

– ما الغرابة في اسمها؟!

مرعي:

– لاحظت التلعثم قبل لفظ الاسم وشعرت بأنها كانت على وشك قول شيء ما ولكنها غيرته على الفور ثم أخبرتني أخيرًا باسم (عفاف هاشم).

في تلك اللحظة أخرج (سليم) الورقة ليجد اسم الفتاة ينطبق على إحدى موظفات كازينو القيصر التي لم يُحقَّق معها بعد، ليحكم (سليم) قبضته في ذراع (شريف) الذي يتحرك معه دون مقاومة، وانطلق مسرعًا إلى السيارة وفي أثناء المغادرة أعطى الأمر إلى

(مصطفى) لإحضار مرعي إلى الإدارة لاستكمال التحقيق والتعرف على المدعوة (عفاف).

انطلقت السيارة خارج المزرعة نحو هدف غير معلوم مكانه، فبدأ (سليم) التحدث مع مدير كازينو القيصر عبر الهاتف من أجل الحصول على عنوان موظفته التي تُدعى (عفاف هاشم)، وعاد الحماس والأمل مرة أخرى عندما شعر باقترابه من (عزرائيل)، ليتعجب من نظرة (شريف) له بابتسامته المصطنعة دون التفوه بكلمة، الأمر الذي جعل (سليم) يشعر ببعض التوتر والقلق، لكن سرعان ما اكتشف السر وراء الابتسامة.

سليم:

- هل تبتسم لأنك تؤيد أفكار صديقك؟

شريف:

- نعم.

سليم:

- لكنني أسير في الاتجاه الخاطئ!

شريف:

- نعم.

سليم:

- هل من الممكن أن تمحو تلك الابتسامة المرعبة وتبدأ بالشرح؟

شريف:

- (رفعت) مختبئ منذ سنوات، من الصعب العثور عليه، تم قتله بعد العثور عليه، تم قتله بعد زيارتك.

سليم:

- هل تقصد أن القاتل بيننا؟

شريف:

- هل ابتسامتي مرعبة؟

عم الصمت طويلًا داخل السيارة حتى نهاية الرحلة، حيث وصل (سليم) أخيرًا إلى إسكان الشباب في مدينة العبور، لتتوقف السيارة أمام العمارة رقم 3، فخرج (سليم) وحده من السيارة للتوجه إلى الطابق الأول وطرق الباب لتفتح امرأة شاحبة الوجه تبدو في منتصف الأربعين من عمرها، تضع وشاحًا أسود اللون على شعرها، ساقاها غير قادرتين على حملها، لا يصدر منها صوتٌ سوى السعال المستمر، ليساعدها (سليم) سريعًا ليُجلِسها على أقرب مقعد مجاور للباب، ليقوم بسحب الوشاح من على رأسها ليجد شعرها الأسود الذي يتخلله بعض الشيب، فما كان أمامه سوى أن يخرج من صمته ليسألها عن هويتها ليكتشف أنها الشخص المطلوب، (عفاف هاشم)، لكن يحاول القضاء على كل شكوكه ويقوم بأخذ صورة لها لإرسالها إلى (مصطفى) لعرضها على الشاهد الوحيد (مرعي) الذي أكَّد أن صاحبة الصورة ليست هي الزائرة المجهولة التي أتت ليلة أمس. اعتذر (سليم) إلى (عفاف) وتمنى لها الشفاء العاجل، لكنه أكد على الاتصال به فور استرداد صحتها لاستكمال التحقيق عن (عبد الرحمن مكاوي).

استقر اليأس في صدر (سليم) مجددًا وازداد انزعاجه عندما عاد إلى داخل سيارته، فتعالت صرخات غضبه من تلك القضية المزعجة، الأمر الذي جعل (شريف) يضع السماعات على أذنه للاستماع إلى موسيقاه لحين الانتهاء من نوبة الغضب التي لم تستمر سوى لحظات، لكن ظل (شريف) مرتديًا لسماعات الأذن، تجنبًا لأي صرخات قادمة، واستعاد (سليم) شيئًا من الهدوء فور تلقي مكالمة من (مصطفى) ليؤكد ما قاله (شريف) بشأن القصاصات المستخدمة في رسائل التهديد، وبالفعل هي مأخوذة من المجلات الطبية العربية، حيث أرسل (مصطفى)، بأمر من (سليم)، أحد المعاونين إلى سور الأزبكية لمعرفة منفذ بيع المجلات، كما أخبره أن هناك أحد التجار، ويُدعى (سيد)، أكد أن هناك رجلًا جاء منذ أكثر من شهر لشراء بعض الأعداد من المجلات الطبية العربية، وتذكر (سيد) هذا الأمر لأنها من المجلات التي لا تُباع وقلما يأتي من يشتريها أو حتى يسأل عنها.

بانتهاء المكالمة تأكد (سليم) أن تلك القضية لن تكشف أسرارها إلا عن طريق المحقق (شريف هدهد)، لذا أخذ ينتظر رد (شريف) من أجل معرفة الوجهة لاستكمال التحقيق.

شريف:

- العودة إلى البداية من جديد.

13

عادا من جديد إلى كازينو القيصر، لكن اتفق كلٌّ من (سليم) و(شريف) على عدم مغادرة المكان إلا بعد التأكد من استخلاص المعلومات اللازمة والمتاحة كافة التي قد تساعد للوصول إلى (عزرائيل)، لذلك أخرج (شريف) غداءه من حقيبته وجلس وحده في غرفة المراقبة لعرض كل التسجيلات الخاصة بالكازينو وموقف السيارات الخاص به، وذلك قبل الحادث بشهر حتى بعد الوفاة بيومين، في أثناء ذلك بدأ (سليم) في استجواب (فريدة عبد القادر)، التي تغيبت لبعض الأيام بسبب وفاة أحد أفراد عائلتها، إذ أكدت أن زميلتها (عفاف) مصابة بحمى شديدة تمنعها من الحضور إلى العمل، لكنها لا تعلم السبب الحقيقي لتغيب (سلمى الجوهري)، وازداد توترها مع قليل من الغضب عندما سأل (سليم) عن طبيعة العلاقة بينها وبين (عبد الرحمن مكاوي)، الأمر الذي جعلها تعترف بالحقيقة الخفية، إذ إنها كانت على علم بعلاقة سرية بين السيد (عبد الرحمن) و(سلمى)، المتغيبة منذ اليوم الأخير لوجود (عبد الرحمن) في الكازينو، الأمر الذي جعل دائرة المشتبهين أصغر من ذي قبل، فطلب سيادة الرائد من مدير الكازينو العنوان الخاص بـ (سلمى الجوهري) التي لم تعمل بالكازينو سوى خمسة أشهر فقط، الأمر الذي حوَّل الشك إلى يقين، فما أقدمت (سلمى) على العمل في الكازينو إلا للتخلص من الضحية الأولى في القضية، فانطلق (سليم) مسرعًا نحو غرفة المراقبة لاصطحاب صديقه الذي قد انتهى من رصد واستخلاص الأدلة كافة من خلال التسجيلات، ليسبقه (سليم) بآخر المستجدات ويعثر على مشتبهة جديدة والتي تدعى (سلمى)، لكنه تفاجأ من معرفة (شريف) بالأمر، فقد لاحظ في التسجيلات نظرات الإعجاب المتبادلة بين (عبد الرحمن) و(سلمى)، لكن (شريف) أضاف معلومة جديدة، ألا وهي وجود مشتبه جديد، حيث أظهرت كاميرات موقف السيارات شابًّا ملثمًا قد قام بفتح سيارة (عبد الرحمن) ووضع باقة الورود بالمقعد الجانبي للسائق، مما يدل على وجود اثنين من المشتبهين وليس واحدًا فقط، أو ربما شريكين كما افترض (سليم).

عم المساء وانطلق (سليم) وصديقه في حماسة من خارج الكازينو ليتوجها نحو مدينة السلام حيث تسكن المدعوة (سلمى الجوهري)، لكن كالعادة يتبخر الأمل في لحظات، إذ تلقَّى سيادة الرائد مكالمة من رئيسه يأمره بالعودة سريعًا إلى الإدارة، وعلى الرغم من توسلات (سليم) ومبرراته، فإن إصرار (راجح) كان أشد غلظة من ذي قبل، الأمر الذي أثار الريبة في قلب (سليم)، وشعر بوجود قضية جديدة أشد خطورة من القضية الحالية.

ظلت عينا (شريف) مغلقتين من قيادة (سليم) المتهورة، التي كادت أن تتسبب في أكثر من حادثة، لينتهي الأمر أخيرًا بعد توقف السيارة في ساحة القسم، فخرج (سليم) في حالة غضب عارمة، محكمًا قبضته في ذراع (شريف)، ليقوم بسحبه مسرعًا إلى داخل القسم، غير مهتم بأي شيء أو الصراخ في وجه (خالد) الذي يبدو في خلاف بسيط مع خطيبته التي أصبحت من المترددين على القسم أكثر من الضباط نفسهم، وقد أشاحت بوجهها بعيدًا فور اقتراب (سليم) الذي لم يهتم لها أو ينظر إليها أو إلى أي قضية جديدة أو حتى يتفوه بأي كلمة لأي شخص يحاول محادثته وبالأخص السيدة (علية) المترددة على القسم باستمرار، وصعد مسرعًا إلى الدور الأول ممسكًا بذراع صديقه، ليصل أخيرًا إلى مكتب سيادة العميد (راجح) ليدخل في حالة غضب سرعان ما تتحول إلى بعض القلق، وبخاصة بعد علامات التوتر الموجودة على وجه (راجح) الجالس على مكتبه، ووقف بجانبه (مصطفى) الذي يحمل بعض التوتر على وجهه، شأنه شأن رئيسه، لتهدأ الخطى قليلًا، واقترب (سليم) في هدوء لمعرفة الأمر الطارئ الذي أصاب الجميع بالذعر الذي بدأ بالتسلل إلى صدر (سليم) عندما أخذ الرسالة التي أُرسِلت إلى العميد (راجح)، الأمر الذي أثار فضول (شريف) ليقترب من صديقه لقراءة الرسالة ذات السطر الواحد من القصاصات.

"إلى كل من يسعى إلى لقائي، توقفوا عن البحث وإلا مات أحدكم غدًا".

"عزرائيل".

ظل الصمت سائدًا لبعض الوقت داخل مكتب العميد (راجح)، لكن صعد الغضب على السطح مجددًا، ليؤكد (سليم) أنه مجرد تهديد لا قيمة له ولا دليل على صحته، بل إنه دليل قوي على اقتراب ضباط المباحث من القاتل الذي وصل الخوف إلى قلبه أخيرًا، وقد نصح (سليم) بالتغاضي عن الخوف وأن يستبدلوا به الإصرار والعزيمة من أجل تحقيق العدالة، ليقوم سيادة الرائد بتذكير رئيسه ومثله الأعلى، بأنها ليست رسالة التهديد الأولى لإدارة المباحث، لكنه تفاجأ من رد سيادة العميد الذي شعر أن هذه الرسالة لم تأتِ من بشري، إنما من شيء ما، فلا يوجد شخص عاقل يملك الجرأة للمرور بين العساكر والضباط والصعود إلى الطابق الأول والتسلل إلى مكتب سيادة العميد (راجح) ووضع تلك الرسالة على المكتب خاصته دون أن يراه أحد، وبخاصة أن الأمين (خالد) أكد أنه خلال حراسته الليلية مساء الأمس لم يقترب أي إنسان من مكتب سيادة العميد.

شريف:

- إنه الشريك الثالث.

راجح:

- أرجو أن يقوم أحدكم بترجمة ما يقوله هذا الو.. هذا الشخص.

سليم:

- سيدي، ربما (شريف) على حق، فقد قُتل (رفعت عبد الستار) بعد عثورنا عليه وزيارتنا مخبأه، وهذا دليل أن هناك خائنًا قد قام بتسريب الخبر إلى القاتل، فلنسرع قبل هروبها.

راجح:

- هل علمت من هي؟

سليم:

- نعم، إنها (سلمى الجوهري)، لذا يجب أن...

راجح:

- لا أهتم، فقد قتل (عزرائيل) اثنين دون الاقتراب منهما، أو على الأقل تنبأ بالأمر، لذا لن أغامر بحياة من معي.

على الرغم من الاعتراض الغاضب من قبل (سليم)، فإنه قابل تعنيفًا شرسًا وقرارًا لا رجعة فيه، ألا وهو وقف التحقيقات حتى إشعار آخر وتأمين كل من حقق في كلا القضيتين، وما هي إلا لحظات حتى توقفت الحدة بين الآراء بعد أن تحدث (شريف) مرة أخرى، حيث، ولأول مرة، أيد قرار العميد (راجح)، الأمر الذي أدى إلى زيادة التعجب وبعض القلق في قلب (راجح)، وبخاصة بعد اقتراح (شريف) بمكوث الضباط داخل مكتب سيادة العميد حتى صباح الغد وعمل تحاليل الدم اللازمة للتأكد من عدم وجود أي سموم بالجسم، وعدم مغادرة أي من (راجح) و(سليم) أو (مصطفى)، فإن خرج الثلاثة أحياء بالغد، كانت الرسالة كاذبة، ولا يوجد ما يمنع استكمال التحقيق.

راجح:

- لا أصدق ما سأقوله، لكنني أؤيد رأي (شريف)، ومع الأسف لن نصبح ثلاثة بالمكتب، بل أربعة.

لم تحدد الرسالة إن كانت موجَّهة إلى ضباط المباحث فقط أم إلى كل من ساهم في التحقيق، مما يجعل (شريف) عرضة للخطر، وكاد (راجح) أن يبكي من قراره الذي سيجعله يقضي ليلة كاملة مع (شريف) الذي رفض الاقتراح وقد تغلغل الخوف إلى قلبه، فلا يستطيع (شريف) أن يدمر نظامه اليومي المعتاد لأي سبب، وبدأت بوادر

نوبة من الذعر في الظهور عليه، ليقترب (سليم) سريعًا منه محاولًا تهدئته وبعث الطمأنينة في قلبه، فيجد (سليم) الحيلة التي قد تساعده في طمأنة (شريف).

سليم:

- إنها فرصة رائعة لقضاء الليل معًا خارج المنزل، هذا ما يفعله الأصدقاء.

كانت الحيلة ناجحة، وتحول الذعر إلى شيء من السعادة لكن ليس بشكل كامل، إذ إنه لا يستطيع النوم على كرسي أو حتى أريكة، كما أنه لا يستطيع النوم قبل شرب اللبن الدافئ وارتداء ملابس النوم، فكانت نظرة (سليم) إلى (راجح) كافية لفهم التوسلات من أجل تنفيذ مطالب (شريف)، ليتحدث بالهاتف آملًا حضور أطباء لسحب عينات الدم من أجل التحاليل على أن تظهر النتيجة في ساعات، ثم أمر سيادة العميد بحضور الأمين (خالد) الذي دخل المكتب في أقل من دقيقة بوجه عابس ومكالمة هاتفية جديدة مع حبيبته، فتغاضى سيادة العميد عن هذا الأمر وأمر بإحضار سرير من الاستراحة الخاصة بالضباط ونقله إلى مكتب العميد، كما أخرج (راجح) من جيبه بعض المال ليعطيه إلى الأمين (خالد) من أجل شراء ملابس جديدة للنوم من أجل (شريف)، وانطلق (خالد) للبدء في تنفيذ الأمر، لكن قبل خروجه من المكتب استمع إلى أمر (راجح) الجديد، وهو إحضار طعام العشاء للضباط مع توفير اللبن الدافئ إلى (شريف).

تحول مكتب سيادة العميد إلى معمل تحاليل فور وصول الطبيب المختص لأخذ العينات اللازمة للتأكد من الصحة الجسدية لدى المحققين، واستمر الأمر لوقت أطول من المتوقع نظرًا للمحاولات العدة من أجل إقناع (شريف) بسحب بعض قطرات الدماء من داخل جسده، ولم يوافق إلا بعد البحث الشاق في شبكة المعلومات العالمية عن جميع الأبحاث الطبية التي توضح أنه لا ضرر من سحب أي عينة من الدماء من داخل الجسم، بالإضافة إلى بعض الأبحاث التي تؤكد مدى التأثير الإيجابي والصحي للتبرع بالدماء، وفي تلك المفاوضات طلب سيادة العميد من الأطباء قياس ضغط الدم مع المطالبة ببعض الأدوية المضادة للجلطات التي قد يسببها (شريف) له.

بعد خروج الأطباء تحول المعمل إلى غرفة أقرب إلى غرفة المعيشة المنزلية، إذ أدخل العساكر سريرين، الأول خاص بالعميد (راجح)، أما الثاني فخاص بـ (شريف)، فوضِع أحدهما في أول الغرفة والثاني في الجهة المقابلة بجانب الأريكة التي تقاسمها كلٌّ من (مصطفى) و(سليم)، وبمجرد الانتهاء من ترتيب الغرفة حضر (خالد) ومعه وجبه العشاء إلى السادة الضباط مع ملابس النوم الجديدة لـ (شريف)، الذي أخذها ووقف بجانب سريره في هدوء للحظات مبتسمًا إلى (خالد) الذي شعر بالارتياب من تلك الابتسامة.

شريف:

- لم تذهب لاستدعاء الفتيات الثلاثة كما أمرك (سليم).

كانت الفرصة المناسبة لـ (سليم) لإفراغ شحنة غضب هائلة في وجه (خالد) لإهمال أعماله وعدم الانتباه لأوامر رؤسائه بسبب قلبه الذي أصبح أسيرًا للحب، وعلى الرغم من المبررات الواهية من قِبل (خالد) الذي أقسم على تنفيذه الأمر والذهاب إلى الموظفات الثلاثة في منازلهن لكن لم يجدهن، فإنها كانت إجابة هشة تدل على التقاعس في أداء الواجب، الأمر الذي زاد من غضب (سليم) الذي أخذ الهاتف من يد (خالد) بالقوة وألقاه من النافذة، ولم يتوقف التوبيخ إلا بأمر من سيادة العميد الذي قام بطرد (خالد) خارج المكتب، وبمجرد تنفيذ الأمر، نظر (راجح) إلى تلميذه ليوبخه بلطف عن الغضب الذي سلب عقله، ومن الأجدر التحلي بالهدوء والسكينة من أجل حل اللغز والوصول إلى القاتل.

بانتهاء نصيحة سيادة العميد إلى أعوانه، قام (شريف) بطرد الجميع من المكتب، الأمر الذي أثار الحيرة لدى (سليم)، لكن سرعان ما أدرك أن (شريف) لا يستطيع تغيير ملابسه في وجود أحد، الأمر الذي أثار غضب (راجح) وعجز عن تنفيذ نصيحته، حتى بعد تناول بعض المهدئات، لكنه لم يجد أي رد فعل لصرخاته من قِبل (شريف) الذي قام بطرد الجميع للمرة الثانية، واستمرت توسلات (سليم) وقتًا طويلًا حتى انتهى الأمر بخروج الجميع لبضع دقائق حتى ينتهي (شريف) من تغيير ملابسه.

انتهى الوقت، ودخل (راجح) حاملًا الغضب في صدره، ناظرًا إلى (شريف) الجالس على سريره حاملًا لشطيرته وكوب اللبن الدافئ في سكينة، ثم دخل خلف (راجح) كلٌّ من (سليم) و(مصطفى)، ليفرغ سيادة العميد شحنة الغضب في التهام طعام العشاء دون انتظار أي من رفقاء الليل، ليشاركه (مصطفى) العشاء بينما جلس (سليم) بجانب الشباك ليطرد دخان سيجارته خارج المكتب، لينشغل كل واحد بأمره، فيعم الهدوء في المكتب من جديد.

بعد ساعات من الصمت وقد استقر (راجح) على سريره، واستولى (مصطفى) على الأريكة وحده، فضل (سليم) الجلوس على الأرض فأصبح ظهره متكئًا على سرير (شريف) الذي لم يغمض له جفن وظل محدقًا إلى السقف، ليتلقى سيادة العميد المكالمة الهاتفية التي تبشر بنتيجة التحاليل وتؤكد خلو جميع العينات من أي أمراض أو سموم، الأمر الذي بعث شيئًا من الطمأنينة في نفوس الحاضرين، إلا (شريف) الذي نبههم بأن الضحايا قد فارقوا الحياة بصحة جيدة وجسد خالٍ من أي أمراض، الأمر الذي حث (راجح) على تناول بعض المهدئات مجددًا، ليندم على التفوه بأي كلمة في

حضور (شريف هدهد) الذي فضل طرح بعض الأسئلة على (سليم) الذي يراجع بعض الملفات في تلك السهرة.

شريف:

- أنا أفكر في (سمر). هل أعتذر لها؟

سليم:

- هل تريد الاعتذار لها؟

شريف:

- النساء تحب النفاق.

سليم:

- أنت محق، لكن لماذا تريد أن تنافق (سمر)؟ لماذا تفكر بها؟ هل تحبها؟

شريف:

- الحب نتائجه ليست إيجابية، أنا لا أريد أن أحزن في نهاية الأمر.

سليم:

- أعترف أنك ذكي، لكنك لن تعلم ما يخفيه المستقبل عنك، أنا أرى أن تسعد بحاضرك، إذ ربما ترافقك السعادة حتى النهاية، وإن تركتك السعادة تركت لك بعض الذكريات السعيدة التي قد تساعدك على تضميد جراح الحزن، إن كنت تبحث عن تفسير علمي، إذًا لا يوجد أمامك سوى التجربة الميدانية من أجل الحصول على النتائج.

في تلك اللحظة بالتحديد ظهرت السعادة على وجه (شريف) بعد تلقيه رسالة على الهاتف من (سمر) لتخبره بمدى غضبها مما قال من قبل لكنها تقبل اعتذاره، وفي نفس الوقت لا تريد أن تراه، فيزداد الأمر تعقيدًا لدى (شريف) الذي حاول فهم ما تريده المرأة، ليستمتع (سليم) بنظرات الجهل والحيرة الخاصة بـ (شريف)، فلم يتخيل قط أنه قد يجد أذكى إنسان قد صادفه طوال الحياة يُصاب ببعض الحيرة مثل سائر البشر، الأمر الذي أصاب (سليم) ببعض الضحكات مما أصاب (شريف) من لعنة الحب، وقوة المرأة في معرفة ما يشعر به الرجل كما فعلت (سمر) في تلك اللحظة وإرسالها تلك الرسالة، لكن سرعان ما عاد (شريف) إلى هوايته المفضلة في حل الألغاز بعد أن لاحظ في إحدى الأوراق التي يتفقدها (سليم)، نسخة من الهوية الشخصية للمدعوة (سلمى الجوهري)، ليقف (شريف) في سعادة ناظرًا إلى (سليم) بعد أن عرف الاسم الحقيقي للمشتبهة.

شريف:

- (سلمى عبد الله فراج)، إنها شقيقة المتبرع، الدافع هو الانتقام.

14

مع شروق الشمس واقتحام أشعتها داخل المكتب، يفتح (راجح) عينيه ليصاب بالذعر الذي كاد أن يسبب له أزمة قلبية حادة، إذ إنه وجد كلًّا من (سليم) و(شريف) يحدقان إلى عن قرب، منتظرين استيقاظ سيادة العميد للسماح لهما بالعودة إلى التحقيق من جديد والتحرك على الفور للقبض على المشتبهة الأولى التي تُدعى (سلمى الجوهري)، لكنها في واقع الأمر هي الشقيقة الصغرى للمدعو (أحمد عبد الله فراج) الذي تمت سرقة كليته وتوفي بعد العملية منذ سنوات من قِبل الدكتورة (أسماء راشد)، وذلك من أجل إنقاذ (عبد الرحمن مكاوي)، وعلى الرغم من البلاغ الذي قُدِّم من قِبل عائلة المتوفَّى واتهام الدكتورة (أسماء) بتجارة الأعضاء، فإنهم قد قاموا بالتنازل عن تلك الشكوى ومن ثم تبرئة الدكتورة (أسماء) على يد المحامي البارع (رفعت عبد الستار).

بعد الشرح والدلائل التي وضحها الرائد (سليم) بمساعدة (شريف)، والحقائق التي جعلت (سلمى) هي المشتبه الرئيسي والأكيد، لم يتبق سوى موافقة سيادة العميد من أجل الانطلاق للقبض على (سلمى الجوهري)، وبالفعل بدأ العميد (راجح) بعمل كل المكالمات إلى إدارة منطقة السلام للإسراع في القبض على المشتبه بها والتحفظ عليها في القسم لحين وصول إدارة المباحث للتحقيق معها، كما استخدم كل سلطاته لعمل كل الإجراءات القانونية اللازمة واستخراج أمر النيابة على الفور للقبض عليها، لينطلق الضابطان ومن خلفهما (شريف) بخطواته الهادئة كالمعتاد، لذا أمر (سليم) أن ينطلق (مصطفى) لإحضار السيارة بينما ينتظر (سليم) أمام باب القسم لحين وصول صديقه (شريف) الذي لا يملك الحماس مثل (سليم)، الأمر الذي جعله يستشيط غضبًا حتى إنه كاد أن يصرخ في وجه السيدة (علية) بشكواها المعتادة من جارها، لكن سرعان ما تحكم في غضبه فور وصول (شريف) إلى باب القسم ليقوم (سليم) بإمساك ذراعه وسحبه بقوة وسرعة نحو سيارة (مصطفى)، بالمقعد الأمامي كما أراد، ليجلس (سليم) بالمقعد الخلفي، فيدخل الجميع أخيرًا إلى السيارة ويرتدي (شريف) سماعات الأذن للاستماع إلى بعض الموسيقى الكلاسيكية، مغمِضًا عينيه تجنبًا لقيادة (مصطفى) الجنونية، التي كادت أن تدهس بعض المارة، لكن لم يتأثر (سليم) بتلك القيادة الخطيرة، إنما تمنى أن يحث (مصطفى) على الإسراع أكثر، لكنه فضَّل الصمت للحظات ثم أخرج الهاتف من جيبه للاتصال بالنقيب (مجدي) من شرطة السلام لمعرفة آخر المستجدات بشأن القبض على (سلمى الجوهري)، لكن الأخبار أصابت (سليم) بصدمة جعلته عاجزًا عن الكلام للحظات معدودة، لكن سرعان ما استعاد

وعيه بعد أن فقد حماسه، ليأمر صديقه بتغيير الوجهة من قسم السلام إلى عنوان شقة الضحية الجديدة (سلمى الجوهري).

توقفت السيارة بعد الوصول إلى الزحام، ليخرج (سليم) ومن معه من السيارة ليخترقوا الحشود المتجمعة حول العمارة رقم خمسة، حيث قامت الشرطة بعمل حاجز حول العمارة بأكملها لمنع دخول أي شخص إلى مسرح الجريمة، ليشهر (سليم) شارته إلى أحد أمناء الشرطة الذي قدم التحية الرسمية إلى الرائد (سليم) والنقيب (مصطفى) ورفيقهما (شريف) والذي يرشدهم إلى مسرح الجريمة بالدور الثاني، حيث دخل (سليم) الشقة ليجد تدلي الحبل الخشن من السقف والحامل لعنق (سلمى)، فينتهي فريق البحث بتصوير الجثة المتدلية، ورفع البصمات الموجودة في الشقة والبحث عن أي أدلة تربطها بالجرائم الثلاثة، لكن لم يستمر البحث إلا لحظات، إذ تركت (سلمى) رسالة اعتراف بقتلها الثلاثة من أجل الانتقام والقضاء على الفساد الذي تفحش في البلاد، وقد كُتِبَت على نصف ورقة بيضاء، أما بالنسبة للنصف الآخر فقد تم حرقه بالكامل، لكن النصف الأول كان كافيًا لفهم الرسالة التي تعترف بقتلها الثلاث ضحايا من أجل تحقيق العدالة، كما أنها تعترف أن حياتها أوشكت على الانتهاء بمجرد التخلص من المجرمين الثلاث، وانتهت الرسالة بجملة غير مكتملة «لذلك استعنت بـ (عزرائيل)»، لكن كانت المقدمة كافية بالنسبة للمحققين كاعتراف من الضحية الرابعة وقتلها لمن سبقوها إلى القبر، ومما أكد جميع الشكوك أن فريق البحث قد وجد بعض القصاصات المماثلة لما هو موجود برسائل (عزرائيل) بالإضافة إلى السكين المستخدَم لقتل (رفعت عبد الستار).

لم يستمر الحديث طويلًا بين ضباط المباحث والنقيب (مجدي)، حيث أخذ (سليم) يتأمل الجثة تاركًا مئات التساؤلات تسبح داخل عقله، أملًا في الوصول إلى الإجابات لكن دون جدوى، الأمر الذي جعله يتجه إلى (شريف) الناظر إلى نافذة الشقة غير مهتم بما يحدث حوله.

سليم:

- شيء مريب في هذه الجريمة، لا أظن أنها انتحرت، لا أظن أنها القاتلة.

شريف:

- إنها القاتلة، هي قتلت الثلاثة من أجل الانتقام، (عزرائيل) قتل من أجل المال، (عزرائيل) قتل شريكته بعد نهاية الانتقام.

لم تكن كلمات (شريف) التي باتت مقنعة بعض الشيء هي ما يشغل عقل (سليم)، إنما أخذ ينظر إلى وجه الضحية بتمعن شديد، حيث إنه على يقين بأن هذا الوجه

مألوف له، لكن لا يتذكر مكان اللقاء، حتى قام فريق البحث بإنزال الجثة على الأرض وتعالت الصرخات والبكاء القادم من باب الشقة باتجاه (سلمى)، فإذا بالأمين (خالد) يجري باكيًا ليحتضن بدموعه وصرخاته خطيبته المدعوة (سلوى)، أو بالمعنى الصحيح (سلمى الجوهري) التي كانت تنتحل اسمًا مزيفًا، الأمر الذي أجاب عن عديد من تساؤلات (سليم)، أهمها معرفة الشريك الثالث والسر وراء قتل (رفعت) بعد زيارة المباحث له.

على الرغم من فقدان القاتل والتي أصبحت الرابعة والخيط الأساسي للجرائم الثلاثة، فإن الرائد (سليم) قد عاد إلى إدارة المباحث وتحديدًا إلى مكتب سيادة العميد (راجح) بشريك الضحية القاتلة في الجرائم، والذي ظل صامتًا باكيًا على فقدان حبيبته، حيث اعترف (خالد) بقصة الحب بينه وبين (سلمى)، أو (سلوى) كما ادعى، والتي استمرت قرابة العام، وقد أقسم مرارًا أنه لم يكن يعلم عن جرائمها، لكنه ارتكب الخطأ الجسيم عندما أخفى معلومات عن القضية، فقد كان على علم بعملها في كازينو القيصر، وقد احتد الشجار بين العاشقين عدة مرات من قبل بشأن هذا العمل، حيث أصر (خالد) أكثر من مرة على تركها العمل، وبخاصة بعد أن أخبرته عن واقعة تحرش داخل الكازينو حدثت لها من قِبل (عبد الرحمن مكاوي)، وعلى الرغم من اعتراضها وغضبها وشكواها، فإن إدارة الكازينو حاولت إخفاء الأمر للمكانة المرموقة للمترددين على الكازينو، كما اعترف (خالد) أن (سلمى) قد لجأت إليه بعد وفاة (عبد الرحمن مكاوي) بعد أن شاع بين الموظفين أن الشرطة ستأتي للتحقيق مع العاملين بالكازينو، كما أنها على يقين بأنها ستكون موضع الشك بسبب حادث التحرش والشكوى التي حدثت سابقًا، ويقينها بإمكانية إلصاق التهمة بها لمجرد إخفاء هوية القاتل الحقيقية إن كان من أصحاب السلطة.

خالد:

– لذلك أمرتها بعدم الذهاب إلى العمل، وكانت تأتي إلى هنا يوميًّا للاطمئنان على حالي ومعرفة مستجدات القضية خطوة بخطوة، أظهرت اهتمامًا بالغًا لمعرفة القتال.

راجح:

– إذن من هو (عزرائيل)؟

خالد:

– أنا لا أعلم، أقسم لك إنني لا أعلم، لكن الأمر الذي أثار الشك في صدري وزاد الارتياب هو يوم مقتل (رفعت عبد الستار).

سليم:

- هل أخبرتها عن مكانه بعد الزيارة الأولى؟

خالد:

- بالتأكيد، أنا أحبها وكنت أظن أنها تسعى للوصول إلى القاتل كما نسعى جميعًا.

شريف:

- أنت من وضعت الرسالة على مكتب (راجح)؟

راجح:

- راجح!!!

خالد:

- أقسم لك إنني لا أعلم شيئًا عن هذه الرسالة، لكن عند زيارتها بالأمس طلبت الذهاب إلى المرحاض وسمحت لها باستخدام المرحاض الخاص بسيادة العميد.

سليم:

- هل لها أي أقارب أو ربما جار، لعله يكون هو (عزرائيل)؟

خالد:

- لم تتحدث كثيرًا عن عائلتها، لكنها أخبرتني بأن لها أخًا قد تُوفي في حادث منذ سنوات عديدة، لكن أقسم لك يا سيدي إنني لم أقصد خيانة مهنتي أو حتى إلحاق الأذى بك أو بسيادة العميد.

راجح:

- هل سمعت يا (شريف)؟ أنا العميد (راجح)، سيادة العميد.

ابتعد (شريف) عن الجميع ليجلس على المقعد الموجود بآخر الغرفة وأمر الجميع بالتزام الصمت التام، وعلى الرغم من انفعال العميد (راجح) على تلك الإهانة، فإن توسلات (سليم) لرئيسه بتنفيذ أمر (شريف) كانت مفيدة بعض الشيء، فقد أدرك (سليم) أن المحقق (شريف هدهد) على وشك بدء جولة داخل قلعته العقلية من أجل الوصول إلى حل لغز القضية كاملًا.

15

أغمض (شريف) عينيه وبدأ بتحريك أصابعه من أجل تحويل ذكرياته إلى صور مجسمة معلقة في الهواء أمامه، ثم بدأ بتحريك كلتا يديه لترتيب الصور تبعًا للتاريخ، لتبدأ الصورة الأولى تستعرض لحظة انتظاره داخل سيارة (سليم) الذي أخذ الإذن من سيادة العميد (راجح) للاستعانة بـ (شريف) في قضية وفاة (عبد الرحمن مكاوي)، ثم بدأ (شريف) بالتحكم في تلك الذكرى والعمل على إسراع أحداثها مثل مشاهدة المقاطع السينمائية على المحمول حتى نهاية تلك الذكرى، ليعيدها إلى عقله ويبدأ بتفقد الذكرى الثانية، في أثناء وجوده في مكتب (سليم)، ممسكًا بالملف الخاص بالضحية الأولى، وبالتحديد لحظة سرد (هشام) لروايته منذ وصول رسالة التهديد إلى (عبد الرحمن) حتى وصوله إلى موقف السيارات الخاص بفندق المطار، في تلك اللحظة دخل (شريف) إلى أعماق تلك الذكرى حتى يصل إلى جزء شديد الظلام.

في تلك اللحظة فتح (شريف) عينيه ليجد نفسه واقفًا على بعد خطوات من السيارات الموجودة أسفل فندق المطار، حيث يخرج عشرة من الحراس من السيارات السوداء حول السيارة البيضاء التي يجلس بداخلها رجل الأعمال (عبد الرحمن مكاوي)، ثم بعد لحظات يخرج رجل الأعمال بعد أن تلقى المكالمة من مساعده (هشام الإبياري)، ليبدأ (شريف) في التحرك مع الضحية الأولى قبل موتها، مرورًا بصالة الاستقبال بالدور الأرضي، وصوت سقوط اللافتة النحاسية الذي أفزع (عبد الرحمن) والحرس خاصته، والركض حتى المصعد المؤدي إلى الطابق العلوي، ثم أغلق (شريف) عينيه لثلاث ثوانٍ، لينتقل إلى الجناح العلوي والمخبأ الخاص بـ (عبد الرحمن).

أخذ (شريف) يستمع إلى المحادثة القصيرة التي دارت بين الضحية ومساعده (هشام) الذي خرج من الغرفة فور دخول (عبد الرحمن) إلى دورة المياه للاستحمام، فظل (شريف) وحيدًا في الغرفة لبضع لحظات ثم فُتِح باب دورة المياه وخرج (عبد الرحمن) عاريًا، وقد أمسك صدره وعلامات الألم تبدو على وجهه، وأصبح عقله غير متزن أو واعٍ، فحاول التقاط أنفاسه بصعوبة بالغة، ثم أسرع إلى شرفة من أجل بعض الهواء إلا أن الاختناق قد زاد وخارت قواه ومال جسده من الشرفة حتى ارتطم جسده بجانب حمام السباحة بأرض الفندق، ليقترب (شريف) من الجثة التي سالت دماؤها دون خوف أو أي شعور بالشفقة، بل نظر خلفه ليجد (سمر) تحمل في يدها اليمنى باقة الزهور بينما تحمل في اليسرى تقرير الطبيب الشرعي الذي يؤكد أن الوفاة طبيعية.

انتهت تلك الذكرى فحرك (شريف) أصابعه بقوه وأخذ يعبُر بين صور الذكريات سريعًا للوصول إلى الذكرى المطلوبة، فأغمض عينيه للحظات حتى توقفت الصور أخيرًا.

فتح (شريف) عينيه مرة أخرى ليجد نفسه وسط صالة استقبال كبيرة خاصة بمنزل بجانب طاولة زجاجية تحتوي على زجاجة كبيرة من الخمر وكأس من الكريستال، أما الكأس الثانية فكانت بيد (شوقي) الذي كان يجلس على الأريكة المقابلة لتلك الطاولة الزجاجية، ليتراجع (شريف) بضع خطوات إلى الخلف، وما هي إلا لحظات حتى سقطت (أسماء) ذات الرداء الأبيض المثير من الأعلى لتسقط على الطاولة وقد اخترق الزجاج جسدها، لينظر إلى (شوقي) الذي أصابه الفزع بعد وفاة (أسماء)، الأمر الذي دفعه إلى إسقاط الكأس من يديه، والإسراع نحو الغرفة المجاورة لأخذ جهاز التسجيلات الخاص بكاميرات المراقبة والإسراع خارج المنزل، وبمجرد فتح الباب وجد (جابر) أمامه!

وفي تلك اللحظة التي اتفق (شوقي) مع (عم جابر) على حفظ سر العلاقة ووجود (شوقي) مع الضحية الثانية داخل السيارة، اقترب (شريف) من الضحية لينظر إلى عينيها ووجهها الشاحب والدماء تملأ جسدها، قام (شريف) بتحريك أصابعه لإعادة الحادث من البداية، لكن انتقل (شريف) إلى غرفة النوم بالطابق العلوي، حيث وجد (أسماء) على قيد الحياة في أثناء معاناتها من آلام في الصدر والإحساس بعدم الاتزان، الأمر الذي جعلها تضع كلتا يديها على المرآة ثم معاناتها والاختناق الذي أصابها وسقوطها من الأعلى فور خروجها من الغرفة.

ظل (شريف) ينظر إلى الضحية بعد أن اخترق الزجاج جسدها مجددًا، وما هي إلا لحظات حتى حضرت (سمر) داخل الذاكرة للمرة الثانية بتقرير الطب الشرعي يؤكد أن الوفاة طبيعية.

يتجول (شريف) في عجلة بين الذكريات ليصل أخيرًا إلى القبو حيث يصرخ (صادق) في وجه (شوقي) محذرًا إياه من الدخول إلى القبو مجددًا، وما هي إلا لحظات حتى اختفى الجميع من القبو وأصبح (شريف) وحيدًا يتجول بين الملفات السرية ويبحث في التاريخ عن جميع الأسماء الموجودة بين السطور، بدءًا من (عبد الرحمن) و(أسماء) و(رفعت) حتى (أحمد فراج)، وغيره من الضحايا، لتنتهي الملفات دون الوصول إلى شيء ذي قيمة، وفي تلك اللحظة ظهرت علامات الدهشة التي يشوبها بعض الغضب على وجه (شريف)، الأمر الذي جعل (شريف) يخرج من جميع الذكريات ليجلس وحيدًا في الظلام لبعض الوقت ثم ينظر إلى الأعلى ليجد قصاصات الورق الحاملة للرسالة تطوف في الهواء فوقه، فيقف (شريف) على قدميه مرة أخرى ليتفقد كلمات

الرسالة بتمعن: «أنا عزرائيل، في نهاية اليوم الثالث سآتي لأقبض روحك، سأتغاضى عن الأمر الإلهي في مقابل خمسة ملايين من الجنيهات».

أخذ يحذف كلمة تلو الأخرى من الرسالة، حتى وصل أخيرًا إلى الكلمات التي قد تحل اللغز «نهاية اليوم الثالث»، فأخذ يتفقد الكلمات لبعض الوقت، ثم عاد إلى ظلامه من جديد، وفي تلك اللحظة صفق بيديه بقوة شديدة، لينتقل (شريف) إلى مجرة العلم داخل عقله، ليسير (شريف) على الأرض المكونة من نجوم الفضاء الواسع فيتوقف (شريف) في منتصف المكتبة المكونة من مئات الطوابق المحتوية على ملايين الكتب والمعلومات التي قام (شريف) بتخزينها داخل عقله، فيستدعي (شريف) كل الكتب الطبية بداية من medical microbiology مرورًا بـ Fenner and White's Medical Virology ثم Health Effects of Toxic Substances وغيرهم من الكتب الطبية والعلمية التي أخذت تتطاير من الأرفف متوجهة نحو مالكها، لتدور حوله دوران الكواكب حول الشمس، لتبدأ الصفحات في التحرك واحدة تلو الأخرى للوصول إلى الإجابة الصحيحة، مستعينًا بضوء النجوم الساطعة فوقه الذي يعلو سقف مكتبته، حتى ظهر بين الكتب وجه (صادق) ومن ثم العثور على الإجابة العلمية السليمة.

لم ينتهِ البحث داخل شريط الذكريات، لكن هذه المرة استخرج (شريف) بعض الذكريات التي زارها من قبل، فعاد إلى الذكرى الأولى وبالتحديد من لحظة جلوسه في سيارة (سليم)، لكن لم يقم العقل بتخطي أي تفاصيل، حيث إنه استمع مرة أخرى إلى الاتفاق الذي عقده (سليم) معه وعدم الحديث مع العميد (راجح) إلا بإذن من (سليم) شخصيًّا، ثم تحرك داخل القسم مرة أخرى وتوقف لسماع شكاوى المواطنين بدءًا من السيدة (علية) حتى السيدة (نعمة)، ولحظة وقوف (سمر) بجانبه ثم تحرك إلى الطابق العلوي حتى وقف أمام مكتب العميد (راجح)، وفي تلك اللحظة بدأ (شريف) إعادة الذاكرة مرة أخرى من البداية حتى الوقوف مرة أخرى أمام مكتب (راجح).

فتح (شريف) عينيه ليصل إلى عالم الواقع بابتسامة تحمل الكثير من السعادة وبعض القلق إلى (راجح)، والأمل إلى (سليم) الذي شاهد تلك النظرة أكثر من مرة.

سليم:

- هل اكتشفت شيئًا جديدًا لمساعدتنا؟ ماذا وجدت؟

شريف:

- كل شيء.

16

انطلق (شريف) خارج المكتب والسعادة تملأ وجهه وقلبه، متمتمًا ببعض الكلمات والمعادلات التي لا يسمعها أو يفهمها غيره، لكن لم يمنعه التفكير عن الإسراع إلى الطابق الأرضي بينما حاول العميد (راجح) والرائد (سليم) والنقيب (مصطفى) اللحاق بالمحقق (شريف) لكشف اللغز ومعرفة سبب السعادة، حيث أمل الجميع أن تكون تلك الابتسامة هي نهاية القضية الشائكة، وعلى الرغم من أسئلة (سليم) المتكررة، فإن (شريف) لم يهتم بإجاباتها، إنما وصل أخيرًا إلى مكتب الأمين (خالد) وأخذ يبحث بين الملفات، أملًا في الوصول إلى المراد.

في تلك اللحظة انقض زئير (راجح) على (شريف) آمرًا إياه بالانتباه والتوقف عن البحث وشرح ما يجول في رأسه بشكل واضح وبسيط حتى يفهمه الجميع، لينفذ (شريف) الأمر ويتوقف عن البحث، لكن لم ترتعد ابتسامته التي ظلت في مكانها أمام العميد (راجح).

شريف:

- كلوستريديوم بوتولينيوم.

تدمع عينا (راجح) فينظر إلى يساره ليشكو حزنه إلى (سليم)، ليعترف سيادة العميد أنه بدأ العلاج من جلطات القلب بسبب (شريف هدهد)، ثم يؤكد أنه طلب من (شريف) شرح حل اللغز بشكل مبسط وواضح، لكنه لم يستمع لأمر العميد الذي بدأ في التوسل إلى (سليم) من أجل إقناع (شريف) لاتباع الأمر، لذا اقترب (سليم) من (شريف) من أجل الشرح في عجالة دون تفاصيل، ولكن أدرك الرائد عدم اتباع الأمر من قبل (شريف) الذي استنشق أكبر قدر من الهواء ليبدأ بالشرح.

شريف:

- كلوستريديوم بوتولينيوم نوع من البكتيريا تنشأ في التربة، وهي لا هوائية التنفس وتنتشر على النباتات أو في الأطعمة، تتميز بمقاومتها العالية للحرارة وتنمو فقط في ظروف التنفس اللا هوائي. تنتج هذه البكتيريا نوعًا من السموم مقاومًا للحرارة يتسبب في إصابة الإنسان بالتسمم الغذائي يؤدي أحيانًا إلى شلل بعض عضلات جسم الإنسان أو الوفاة.

سليم:

- لكن تقرير الطب الشرعي أثبت عدم تناول أي سم أو حتى التعرض للسموم.

شريف:

- 75 نانوجرام من كلوستريديوم بوتولينيوم قادرة على قتل إنسان، عن طريق الفم أو الأنف.

راجح:

- الأنف؟! هل تقصد أن السم وُضِع على باقة الورود المغلفة؟

شريف:

- بكتيريا كلوستريديوم بوتولينيوم ليس لها أعراض واضحة، يبدأ مفعولها المميت بعد 36 ساعة وتسبب شللًا تامًّا في الحجاب الحاجز، عدم القدرة على التنفس، النتيجة النهائية الموت بصورة طبيعية.

مصطفى:

- إذن (عزرائيل) إنسان عادي قام بتصنيع غاز سام! لكن كيف سيتم العثور على شخص غير معلوم اسمه أو حتى وظيفته؟

في تلك اللحظة عاد (شريف) للبحث بين الأوراق والملفات تاركًا السادة الضباط في مناقشاتهم الجانبية التي لا تضر ولا تنفع، بل إنها زادت الأمور تعقيدًا، حيث اقترح (سليم) التواصل مع شركات تصنيع الأدوية والبدء في البحث والتحقيق مع العاملين أو الأطباء، لكن قد يستغرق الأمر طويلًا، لكن ليس بالنسبة إلى (شريف هدهد) الذي وجد مبتغاه بين عشرات الملفات، وتقدم نحو العميد (راجح) ليقدم له الاسم الحقيقي لـ (عزرائيل) والعنوان الموجود فيه حاليًّا.

شريف:

- بكتيريا كلوستريديوم بوتولينيوم تنتشر في مصر في الفسيخ، تم الإبلاغ من قبل السيدة (علية) عن الجار الذي يأكل أسماكًا كل يوم، وأصبحت الرائحة لا تُطاق، إنه الجار، (عادل أبو خطوة)، أحد أفراد عائلة الدكتور (شوقي أبو خطوة)، استُخدِم كبش فداء وأُدخِل السجن في إحدى القضايا ضد مستشفى الشرق الأوسط، كما أنه قام بـ...

لم يستمع العميد (راجح) أو أي من الضباط إلى ما تبقى من الشرح، حيث أمر بتجهيز القوة الأمنية والانطلاق بسيارات الشرطة إلى العنوان المكتوب بالمحضر، ليمسك (سليم) بذراع (شريف) ويبدأ بسحبه كالعادة من أجل الإسراع نحو السيارة، وبمجرد الدخول إلى السيارة انطلق (سليم) بسرعته المعهودة ومن خلفه (مصطفى) في سيارة الشرطة، وفي ذلك الوقت أصدر النقيب تعليماته من خلال المذياع إلى أفراد الشرطة وقوات الاقتحام للتوجه إلى العنوان المطلوب في أقصى سرعة ممكنة والقبض على المشتبه

به المدعو (عادل أبو خطوة) مع التحذير من خطورة المتهم واحتمالية حمله أسلحة قاتلة.

لم يتوقف (شريف) عن الحديث، إنما استمر في شرح الجريمة كاملة منذ البداية، حيث كانت (سلمى) من تخطط لقتل الجميع من أجل الانتقام.

لكنها كانت تريد الاستعانة بمن له نفس الكراهية والعداء للفاسدين، لذا أخذت في البحث لسنوات عمن تم التضحية بهم من قبل، حتى وجدت الشخص المناسب وعثرت على اسم (عادل أبو خطوة) ومن ثم بدأت في البحث عنه حتى وجدته، وقد وافق على الانتقام بطريقته الشيطانية، ولكن لم يكن ذلك كافيًا بالنسبة له، حيث إنه فضل أخذ الفدية، حيث وجد أن المال نوع من التعويض عن سنوات السجن.

استغرقا وقتًا طويلًا لعمل الخطة، ومراقبة الضحايا، ثم بدآ معًا في تنفيذ الخطة، حيث عملت (سلمى) في كازينو القيصر للتقرب من (عبد الرحمن)، في الوقت الذي أخذ (عادل) على عاتقه مراقبة (أسماء)، وفي الوقت ذاته تقربت (سلمى) من (خالد) للاستفادة منه في وقت لاحق، واختلاقها لرواية تحرش (عبد الرحمن مكاوي) لها حتى يقوم بحمايتها إن لزم الأمر، لكن ما كان يهمها حقًّا هو معرفة مخبأ (رفعت عبد الستار)، وقد تم التخلص من الضحية الأولى والثانية بنجاح ولعبت الصدفة دورًا مهمًّا، حيث سقط كلاهما من الأعلى، لكن أوضح (شريف) سبب هذا السقوط، فلم يكن لـ (عبد الرحمن) أي نية في الانتحار، إنما هو الاختناق الذي دفعه للتوجه إلى الشرفة لاستنشاق بعض الهواء، لكن عدم الاتزان الذي سبق الموت أدى إلى السقوط. أما بالنسبة لـ (أسماء) فكانت تسعى لطلب العون والوصول إلى عشيقها الموجود بالطابق السفلي، لكن عدم الاتزان والاختناق هو سبب السقوط.

وازدادت حلاوة الانتقام بعد الفوز بملايين من الجنيهات التي في اعتقاد (شريف) كانت سبب الخلاف بين الشريكين، حيث ظن أن (عادل) قد فضل أخذ المال لنفسه وفي نفس الوقت الاكتفاء بجريمتين، أما أمنية (سلمى) فكانت على عكس ذلك، حيث كانت تسعى إلى الانتقام وليس المال، مما اضطرها إلى تنفيذها بيدها، الأمر الذي اضطر (عادل) إلى استخدام الحيل الشيطانية للتخلص من شريكته، فاستغلها لوضع الرسالة على مكتب العميد (راجح) والتي كان هدفها واضحًا، ألا وهو تأخير تحركات الشرطة لمدة يوم واحد من أجل التخلص من شريكته، بطريقة (عزرائيل) الذي يبدو وقد جعلها تنهي حياتها، وقد قام بكتابة الرسالة كاملة وأنهاها بكلمة (عزرائيل)، ثم أحرق الورقة ليبدو الأمر شيطانيًّا لا أكثر.

أما التخمين الذي أنهى به (شريف) حل اللغز، هو أن (عادل) كان في نيته التخلص من (سلمى) منذ البداية لعدة أسباب؛ أولها التخلص من أي شخص على علم بشخصية

(عزرائيل)، والسبب الثاني هو إلصاق كلا الجريمتين بـ (سلمى) قاتلة الثالث، أما السبب الرئيسي هو عدم مشاركة (سلمى) له في المال، أما الشيء الذي لم يستطع (شريف) تقبله على الرغم من أنه هو من قام بتفسيره هي الرسالة التي تم إرسالها إلى مكتب العميد (راجح)، فقد كان في الإمكان التخلص من (سلمى) دون الحاجة إلى تلك الرسالة، وقد شعر (شريف) أن الرسالة تحمل شيئًا لم يستطع تفسيره بعد، على عكس (سليم) الذي كانت الإجابة واضحة بالنسبة له، (سليم) الذي اعتقد أن الخوف قد أصاب (عزرائيل) الذي قرر إرسال رسالة واهية من أجل نشر الخوف والتوقف عن البحث عن (عزرائيل).

كان (سليم) أسرع من أفراد الشرطة، حيث توقفت السيارة أمام المنزل، وأمر (شريف) بعدم مغادرة السيارة على الإطلاق، لكن أخرج (شريف) قناعًا واقيًا للوجه ليعطيه إلى (سليم) الذي لا يدرك مدى خطورة المادة السامة لكنه يؤمن بحدس (شريف)، لذا ارتدى الرائد الواقي ثم دخل إلى المنزل وصعد الدرج في حرص وحذر، شاهرًا سلاحه من أجل ملاقاة (عزرائيل).

وصل (سليم) إلى الطابق الأول ليتأكد من أنه الطابق المنشود من الرائحة النفاذة، ووجَّه مسدسه نحو الباب الأخضر الذي يخفي خلفه مصدر الرائحة، وفي تلك اللحظة نظر إلى الخلف بمجرد سماع صوت فتح الباب المقابل، حيث تخرج السيدة (علية) والسعادة تغمرها لاستجابة رجال الشرطة إلى شكواها في آخر الأمر، وعلى الرغم من طلب (سليم) منها التزام الصمت والهدوء، فإن سعادتها أصمَّت أذنَيها، حتى إنها نادت جميع جيرانها للاحتفال بالرائد الذي أتى بنفسه لإنهاء تلك المشكلة مع الجار الغامض.

بدأ (سليم) في سماع بعض الخطوات الراكضة خلف الباب الأخضر، الأمر الذي جعله يتوجه سريعًا نحو الباب ويركله بكل ما أوتي من قوه، فيقتحم الشقة المتعفنة في حذر شديد، وبدأ التحرك في خفة وحرص، لكن رائحة أطنان الفسيخ كادت أن تفقده الوعي، لكنه استجمع كل قواه لمقاومة تلك الرائحة، وأخذ يفتش في أرجاء الشقة، بدءًا بالصالة الصغيرة الممتلئة بالحاويات الصغيرة الحاملة للسمك المتعفن، مرورًا بالمطبخ المملوء بالأواني الكبيرة المتسخة، حتى وصل أخيرًا أمام باب الغرفة الموصد، ليفتحه في حذر فلا يجد سوى الظلام الدامس، ليخطو بعض الخطوات إلى الداخل وأخرج هاتفه من أجل الحصول على بعض الإضاءة الخافتة، فوجد معملًا كيميائيًّا كاملًا داخل الغرفة، فاقترب (سليم) قليلًا نحو المواد الكيميائية الموجودة على الطاولة، فأتى (عادل) من خلفه فألقى على وجهه السائل السام، لكنه تفاجأ بالقناع الواقي الذي يرتديه الضابط، فأمسك (عادل) قارورة زجاجية موجودة على الطاولة فضرب بها سريعًا على رأس (سليم) الذي سالت دماؤه على الفور ولكنه قاوم وبدأ بلكم (عادل) في وجهه،

لكنه فر في الحال، وانطلق إلى الصالة ومن ثم إلى باب الشقة الذي وقف أمامه جميع الجيران المتطفلين من أجل معرفة ما بداخل الشقة، الأمر الذي دفع (عادل) إلى التراجع والتوجه إلى المطبخ لأخذ سكين من أجل العراك القادم مع (سليم) الذي فقد سلاحه في الظلام، فتحول القتال بالأيدي، لكن ليس بالنسبة لـ (عادل) الذي أخذ بالهجوم على (سليم) بالسكين أكثر من مرة حتى نجح في جرح ذراعه اليمنى، الأمر الذي زاد من غضب (سليم) فانطلق بالهجوم على خصمه لكن النهاية لم تكن مرضية له، حيث انتهى هجوم (سليم) بالسكين المغروز في كتفه الأيسر، ثم فر (عادل) مسرعًا إلى معمله المظلم مرة أخرى، محاولًا الحصول على أي سلاح جديد بعد أن فقد سلاحه الأول، الأمر الذي جعل (سليم) أكثر غضبًا، فازدادت صرخاته العنيفة وانطلق داخل المعمل فوجد (عادل) أمامه، فأمسك الضابط بساقي المجرم ورفعه إلى الأعلى في أثناء انطلاقه نحو النافذة، فسقط كلاهما من الطابق العلوي على سيارة (سليم)، وقد منعتهما تلك السقطة من التحرك من الآلام المنتشرة في كلا الجسدين، وبالأخص (سليم) الذي أمسك السكين المغروز وسحبه ببطء خارج جسده، ثم أخذ يستريح للحظات من أجل استجماع قواه، ثم نهض على الفور من أجل الإمساك بـ (عادل) وإلقائه على الأرض من أجل وضع الأصفاد في يديه.

خرج (شريف) في تلك اللحظة ليرى الوجه الحقيقي لـ (عزرائيل) وبخاصة بعد أن كُشِفت حيلته، لكن لم يكن يتوقع (شريف) ضحكات (عادل) الساخرة، الأمر الذي أثار الغضب لدى (سليم)، لكن أدخل بعض القلق والخوف في قلب (شريف) الذي عجز عن معرفة السبب الحقيقي لتلك الضحكات، لكن فضوله قد دفعه إلى السؤال عن هذا الأمر، فنظر (عادل) بوجه تسيل منه الدماء وابتسامة ماكرة وعين تبعث الموت لناظرها.

عادل:

- أخبرتكم بأن توقِفوا البحث عني، يجب أن تعلم الآن أنك السبب وراء موتها.

سليم:

- ماذا تعني؟

أخرج (شريف) هاتفه ليبدأ بالاتصال على الفور وانطلق مسرعًا على الأقدام بعيدًا عن صديقه الذي أخذ يلكم وجه (عادل) حتى يعترف بمقصده، لكن السكوت لم يدم طويلًا، حيث اعترف (عادل) أنه كان يراقب (شريف)، وشاهد العراك العاطفي الذي حدث بين (شريف) و(سمر) في موقف السيارات الخاص بالمستشفى.

عادل:

- أرسلت لها رسالة اعتذار باسم (شريف) ووضعتها داخل باقة من الورود الخاصة، وقد اقترب اليوم الثالث من نهايته.

17

لم يتوقف (سليم) عن ضرب (عادل) في غضب عارم حتى وصل (مصطفى) مع باقي أفراد الشرطة الذين قاموا بالفصل بين الضابط والمجرم الذي تم القبض عليه ووضعه بسيارة الشرطة، وتحرك باقي أفراد الشرطة مع فريق البحث إلى الشقة لجمع كل الأدلة تحت إشراف النقيب (مصطفى).

لم يهتم (سليم) بإصابته أو بدمائه المسالة، إنما أخذ يبحث بعينيه في كل مكان بحثًا عن صديقه، لكن لم يدم البحث طويلًا، حيث انطلق (سليم) بسيارته نحو منزل سيادة اللواء (عمرو مهران)، وكانت قيادته أشد جنونًا من ذي قبل، وفي أثناء سباقه مع الموت أخذ هاتفه من أجل مكالمة (سمر) بالهاتف، لكن دون جدوى، حيث كان (شريف) قد سبقه بمحاولاته المستمرة للاتصال بـ (سمر) في أثناء توجهه إلى منزلها بواسطة سيارة أجرة، وعلى الرغم من تلألؤ عينيه بالدموع، فإنه لم يتوقف عن محاولاته الاتصال حتى أجابت (سمر) في نهاية الأمر، لكن لم تكن كلماته غامضة كعادته، أو حتى أطال في شرحه، بل كان (شريف) حادًّا وصارخًا، آمرًا صديقته بالتوجه فورًا إلى المستشفى، ووضح لها أنها مصابة بتسمم كيميائي دون أي تفاصيل على الرغم من طلب (سمر) بعض التفاصيل من أجل فهم الأمر، فإنه ظل يكرر أمره بالذهاب إلى المستشفى مع توضيح بسيط هذه المرة بأن (عزرائيل) هو مرسل باقة الزهور التي أصابتها بالبكتيريا المميتة، الأمر الذي أصابها ببعض الذهول.

سمر:

– هل تقصد أنك لم تعتذر عما بدر منك؟ هل تعني أنك لا تهتم لأمري؟

شريف:

– أنا أهتم، أنا أعتذر، أنا أريد العيش معكِ للأبد، أنا أريد سعادتك، أنا أريدك حية، أنا أحبــ..

أصيب سائق الأجرة بالفزع عندما تعالت صرخات (شريف) الذي أخذ يضرب رأسه بعد أن فقد الاتصال بينه وبين حبيبته، الأمر الذي دفع السائق إلى التوقف وطرد ذلك المجنون من سيارته، ليبدأ (شريف) بالإسراع في خطواته ثم الركض بأقصى سرعته نحو بيت (سمر) الذي بدأ يقترب عشرات المترات منه.

وصل (شريف) أخيرًا أمام البوابة الخاصة بمنزل (عمرو مهران) حيث يقف الحرس الخاص أمام المنزل، والذي توجه نحو (شريف) الذي أحكم قبضته على البوابة

الخارجية وأخذ يحركها بكل قوته من أجل فتحها، فاقترب منه اثنان من الحرس لمعرفة سبب حضوره إلى المنزل والغاية من الدخول، لكن لم يملك (شريف) الوقت للشرح، فطلب على الفور مقابلة (سمر) وطلب فتح البوابة على الفور لإنقاذها من الخطر الجسيم، لكن ظهرت بعض الابتسامات الساخرة من أحد الحراس الذي لا يرى سوى شخص مجنون أمامه، ليبدأ التحدث مع (شريف) بهدوء لإخباره بأن (سمر) غير موجودة داخل المنزل، الأمر الذي زاد من غضب (شريف) بسبب سماعه لكذب الحارس بالإضافة إلى نظرات السخرية له، ليمسك بالبوابة مرة أخرى بقوة من أجل فتحها، لكن هذه المرة تعالت صرخات الحرس فبدأ أحدهم بالإمساك بكتف (شريف) وإبعاده بقوة عن البوابة فسقط (شريف) على الأرض، لكنه نهض من جديد وتوجه نحو البوابة مرة أخرى في صمت، فدفعه الحارس مرة أخرى، وسقط (شريف) مرة أخرى، لينهض مجددًا ويتوجه إلى البوابة لكن هذه المرة لكم الحارس أنف (شريف) فسقط أرضًا، لكن لم تمنعه الضربة من النهوض مجددًا بوجه مليء بالدموع والدماء ويتجه مجددًا إلى البوابة، فيتلقى ضربة أخرى في بطنه فيسقط أرضًا، وما هي سوى لحظات حتى توقفت سيارة بالقرب من الحرس ليخرج منها (سليم) مسرعًا لإنقاذ صديقه، فأمر الحرس غاضبًا بالتراجع فنفذوا الأمر دون تردد، ثم ساعد (شريف) على النهوض، وبمجرد الوقوف مرة أخرى توجه إلى البوابة، لكن في تلك المرة منعه (سليم) الذي أخبره بأنه قد قام بالاتصال باللواء (عمرو مهران) وشرح ما حدث وما أصاب ابنته، وقد قام اللواء على الفور بأخذ ابنته إلى المستشفى، لكن (سليم) قد جاء إلى منزل اللواء من أجل (شريف) الذي توجه إلى سيارة (سليم) على الفور من أجل إنقاذ (سمر)، فانطلقت السيارة نحو المستشفى بسرعة كادت أن تخيف قائد السيارة، لكن هذه المرة لم يغمض (شريف) عينيه إنما ظل ينظر إلى الأمام بدموع منهمرة وتمتمة غير مسموعة، وعلى الرغم من محاولات (سليم) المستمرة لبعث بعض الطمأنينة إلى قلب صديقه فإنها كانت كلمات لا قيمة لها بالنسبة لـ (شريف) الذي عاد إليه نفس الشعور بالخوف الذي قد أصابه ليلة الحادث وموت والده منذ عشرين عامًا، حتى ظل يردد ما قاله في تلك الليلة.

شريف:

- 215*1=215، 215*2=430، 215*3= 645،،

توقفت السيارة أمام باب المستشفى، فخرج (شريف) مسرعًا إلى الداخل دون الحاجة إلى السؤال في مكتب الاستعلامات عن مكان (سمر) مثلما فعل (سليم)، حيث إن (شريف) كان يقتفي أثر أفراد الشرطة والأطباء المسرعين في خطواتهم، أو ربما كان يستخدم قلبه في العثور على حبيبته، لكنه كان على يقين من الاتجاه الصحيح،

فاستخدم المصعد للصعود إلى الطابق الثالث دون صديقه (سليم) الذي اضطر إلى استخدام الدرج من أجل الوصول.

فُتح باب المصعد وخرج (شريف) من المصعد ليجد في نهاية الأمر عشرات الأطباء وأفراد الشرطة ويتوسطهم اللواء (عمرو مهران) ومساعده (أكثم)، فأسرعت خطوات (شريف) ليقترب منهم أكثر وبدأت علامات الحزن في الظهور بشكل أوضح، وبخاصة وجه اللواء (عمرو) المليء بالدموع، فتوجه (أكثم) في تلك اللحظة نحو (شريف) لإبعاده عن سيده ومن معه، لكن كانت رغبة (شريف) أقوى، وإصراره على رؤية (سمر) والاطمئنان عليها كانت الأولوية، لكنه لم يقابل سوى الرفض، سواء من (أكثم) أو بعض ضباط الشرطة الذين أمرهم اللواء (عمرو) بمنع (شريف) من التقدم، فازدادت صرخات (شريف) وأصيب بنوبة من التوتر والقلق من تزايد الناس حوله، حتى وصل (سليم) أخيرًا إلى صديقه، فأمسك به بقوة وأمر الجميع بالابتعاد عنه، حيث أكد سيادة الرائد قدرته على السيطرة على (شريف)، فابتعد الضباط بينما اقترب (أكثم) من (سليم) قليلًا ليخبره بالخبر الأليم، ألا وهو وفاة الدكتورة (سمر عمرو مهران)، الأمر الذي زاد من صرخات (شريف) وبكائه متهمًا الجميع بالكذب وبالأخص (عمرو مهران)، وتعالت الصرخات في أرجاء المستشفى مما اضطر بعض الأطباء إلى التدخل بحقن (شريف) بمهدئ تجنبًا للإصابة بالانهيار العصبي، وما هي سوى لحظات حتى انتهت الصرخات وفقد (شريف) الوعي.

فتح (شريف) عينيه فوجد نفسه في مكان غير ذي قبل، حيث يجلس على مقعد خشبي في حديقة شاسعة تملؤها الزهور بألوانها المختلفة، وأرض خضراء ممتدة إلى الأفق، ولا يوجد أثر لإنسان قط، إلا ذلك الظل الأبيض القادم من بعيد، والذي يقترب من (شريف) بخطوات هادئة حتى ظهرت ملامح الظل شيئًا فشيئًا ووصل أخيرًا إلى (شريف)، فإذا بـ (سمر) تجلس أمامه بابتسامة يملؤها الحب والاشتياق، فيبادلها (شريف) ابتسامة ونظرات الشوق التي سرعان ما تحولت إلى شيء من الحزن وبعض الدموع.

شريف:

- لا أريدك أن ترحلي.

سمر:

- أعلم ذلك.

شريف:

- وجدت السعادة في وجودك بالقرب مني، أنا أحبك.

سمر:

- أعلم ذلك.

شريف:

- لكنك سترحلين.

سمر:

- سأظل بقلبك دائمًا.

شريف:

- أعلم ذلك، الحياة ستصبح أكثر غموضًا بعد رحيلك.

سمر:

- أنت (شريف هدهد) من يكشف أي غموض.

شريف:

- لا سعادة من دونك.

سمر:

- ستجد السعادة، لا تتوقف عن البحث.

18

على الرغم من تقدم السن الذي تسبب في عدة أمراض مما جعل حالة الدكتورة (علياء) الصحية غير مستقرة، فإنها ما زالت تشرف على إدارة المركز خاصتها المتخصص في تأهيل أطفال التوحد، وازدادت سعادتها ونشاطها بعد عودة (شريف) إلى المركز مرة أخرى، والذي كان يُعد المنزل الثاني لـ (شريف) في مرحلة الطفولة، أما الآن فقد أصبح المركز والمنزل الأول والوحيد لـ (شريف) الذي أصبح من المتطوعين الدائمين لمساعدة من يحتاج إلى الإرشاد والتوجيه، وازداد الأمر بإقامته الدائمة داخل المركز، حيث لم يغادره طوال الأسابيع الماضية منذ خبر وفاة (سمر)، وقد قرر اعتزال حياته الماضية خوفًا من فقدان أي شخص آخر مثل الأستاذ (محسن النجار) الذي تولى تربيته بعد وفاة والده (هشام هدهد)، وازداد الأمر برفض أي زيارة له واعتراضه الشديد على مقابلة أي شخص له علاقة بالحياة الماضية، بدءًا من العميد (راجح) الذي طلب مقابلته في أحد الأيام، حتى (سليم) المتردد بشكل أسبوعي على مركز التأهيل، وعلى الرغم من الرفض الذي تلقاه بشكل مستمر، فإنه دائم الزيارة والاستفسار عن حالته، وفي بعض الأحيان يجلس بالساعات لمعرفة حالته النفسية من الدكتورة (علياء) ومراقبة ما يفعله (شريف) من مسافة بعيدة حتى لا يدركه، فقد لاحظ (سليم) ابتسامة صديقه المليئة بالحزن وفي نفس الوقت انشغاله في التواصل مع الكثير من الأطفال وقراءة الكتب لهم واللعب في بعض الأحيان معهم، وفي بعض الأحيان يكتفي (شريف) بالجلوس وحده في حديقة المركز المطلة على العالم الخارجي الذي يشتاق إليه (شريف)، لكن الحادث قد منعه من العودة إليه مرة أخرى.

جلس رجل في الأربعين من عمره في إحدى الشرفات المطلة على حديقة المركز، فأمسك الرجل المنظار بيده اليسرى لمراقبة (شريف هدهد) الجالس وحيدًا في صمت بالحديقة، بينما أمسك الهاتف بيده اليسرى التي تحمل وشم الثلاث نجوم، حيث أعطى أوامره في جملة واحدة:

"يجب أن يخرج (شريف هدهد) من عزلته لتنفيذ المخطط، فلنبدأ الآن".